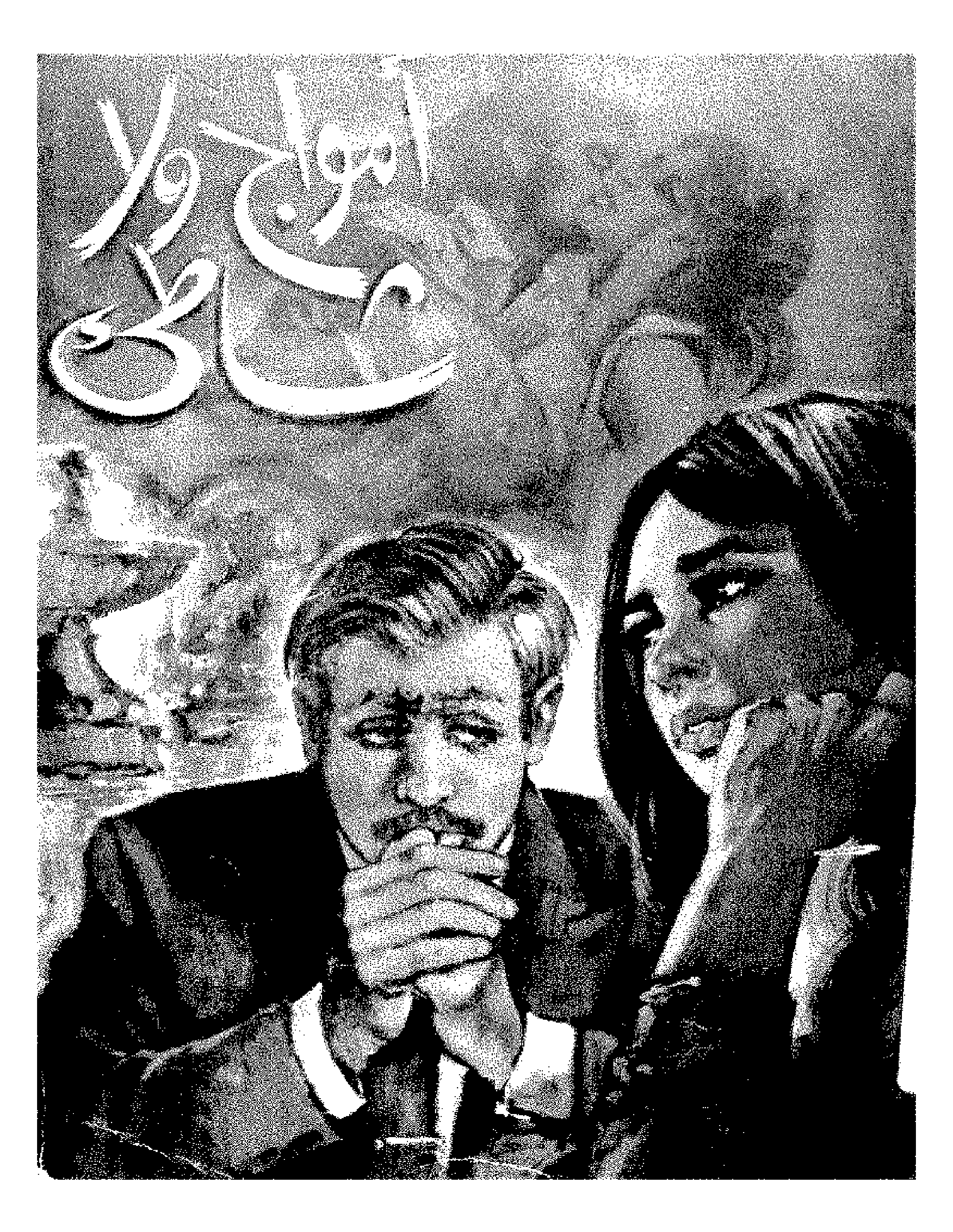


ثروت أباظة

أمواج ولا شاطئ

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"
سعيد جوده السحار وشركاه

— ١ —

حجـــة وقــف

انه بموجب هذا قد أوقف سعادتلو أفندم حضرة صاحب السعادة عزت باشا ابراهيم جميع أملاكه على أولاده ، بحيث يصبح ناظر الوقف بعده عزتلو أفندم حضرة صاحب العزة جمال بك ابراهيم بصفته الابن الأكبر وتصـــبح له الحقوق العشرة ، وينتقل الحق فى نظارة الوقف الى أبنائه الأرشـــد فالأرشد ، فاذا لا قدر الله لم ينجب بنين تنتقل نظارة الوقف الى الأرشد من أبناء اخوته الأرشد فالأرشد .

واذا امتنع المستحق فى النظـــارة عن النظـــارة لسبب أو لآخر ، تنتقل الى المستحق بالطريق سالف الذكر . ويشترط فيمن يكون ناظر الوقف أن يكون كامل الأهلية طيب السمعة حسن السير والسلوك . وقد وقع سعادتلو أفنـــدم حضرة صاحب السعادة عزت باشا ابراهيم هذه الوقفية وهو فى كامل قواه العقلية وفى كامل صحته ، أسبغ الله عليه أثواب العافية ومتعه بالصحة والعافية ومد الله فى عمره .. آمين .

الواقف

عزت ابراهيم

— ٢ —

القصر جبل من ضياء ، والعربات تفد اليه ليخرج منها الماس الخاطف والملابس الثرية ، ما أن تمضى عربة بخيولها حتى تأتى بعدها أخرى ، والحفل نشوة ، والأنفاس عطر ، والأجساد نور ، والضحك موسيقى ، والدنيا غناء .

نامق بك ابراهيم يترجل من العربة رفيع السمات واثق الحركة ، لا يفكر فى الديون التى يرزح تحتها ما دام واثقا أن عمه ناظر الوقف سيعطيه آخر العام ما يقيم مثل هذه الحفلات حتى يصبح من الطبيعى أن يدعى الى هذه الحفلات .. انه لا يفكر ... فما دامت قدماه قد أصبحتا داخل الحفل فلا تفكير اذن الا فى الحفل .

النظرات تستقبله وما تلبث الأيدى أن تعجل اليه ، فكل من فى الحفل يجب أن يكون على أحسن صلة به : وهو يجيب التحية فى كبرياء غير متكلف ، فقد تعلم الكبرياء منذ تعلم كيف يسير وكيف يأكل وكيف يعامل الناس ... نوع من الكبرياء لا يغضب وانما يثير الاكبار ، ولا يجرح وانما يجعل

الناس يحبون أن يكونوا على معرفة به ٠

وحين يفرغ نامق بك من التحايا ينفض الحفل جميعه بعينيه العميقتين وقد ازداد التماعهما تألقا ٠

انه يبحث ٠٠٠ وما هي الا ومضة وأخرى حتى تعرف قدماه الى أين يجب أن يتجه ٠

نازك ٠٠٠ تمد اليه اليد وترنو اليه بهذه النظرة الواعدة والتي ينتظر منها دائما أن تفي بالوعد ٠٠٠ لا يغيب عن حفل هي ذاهبة اليه ٠٠ منذ شهور يلاحقها في الحفلات وهي تحب منه هذه الملاحقة وترضى عنها ، وتعد بعينيها وعودا كثيرة تعرف أنها تصل الى حيث تريد لها أن تصل ٠ فما لاحقها الا حين أحس أنها تدعوه بهذه النظرات الى هذه الملاحقة ٠

وتدور الكئوس وتنتشي الآمال ويفكر كل ذي وعد في تحقيق موعده ، ونامق يرنو ويتلطف ٠٠٠ وهي ترنو وتعد ، ويدور الحديث ويلوب ولا يصل الى شيء ، ولكنه بنظراته اللامحة وعينيه ذواتي البريق ينفض الحفل ٠٠

ـــ سعادة البك الوالد ؟!

ـــ لم يأت الليلة ٠

ـــ والوالدة ؟

وتطلق ضحكة خائرة :

ـــ وهى أيضا لم تأت •

ـــ اذن ؟

ـــ جئت معى بصديقتى كريمة •

ويصمت قليلا ثم يقول بفرنسية متقنة :

ـــ ولكن ليس من المحتم أن ترجعى مع كريمة •

وتكسر عينها الواعدة وتجيب فى فرنسية خالصة :

ـــ سنرى •

ـــ ألم ترى بعد ؟

ـــ قلت سنرى •

ـــ مرت شهور ••

ـــ قلت سنرى •

لقد أصبح الوعد أخيرا ابن كلمة بعد أن ظل شهورا طويلة ابن نظرة • تتصايح الرغبات فى جوانحه وتعربد الآمال فى كل قطرة من دمائه • وتنصرف نازك الى صديقاتها تجاذبهن كأنها لم تفسح لهذه الرغبات أن تتصايح ولا لهذه الآمال أن تعربد •

ولا يجد هو فى نفسه ميلا الى حديث وانما يظل ملصقا نظراته بوجهها ••• طويل هذا الوجه قوى عذب يتحدى ويأمر ويريد ويفعل ، عينان ما هما بالواسعتين ولكن السعة فيهما أصبحت عمقا ، ان تمكن انسان أن يطيل فيهما النظر تكشف له من وارئهما عوالم تفضى الى عوامل تفضى الى

لا نهاية •• لا نهاية للعمق فيهما • تحيط بهما رموش لا تنثنى الى أعلى وانما هى رموش مشهرة تتكلم فتقول ما تريد • وفم دقيق الشفاه ينفرج عن أسنان عليها وشاح من ضباب فضى خفيف • والفم جميعه يبدو كأنه على صلة ونبقة بالعقل ••• حتى اذا ابتسم جمع العقل والقلب فى ابتسامته • وفى الذقن ذكاء وارادة ورغبة وتفكير وتأمل وتنفيذ • وحين تقف نازك يظل نامق ملصقا نظراته بقوامها الفارع النحيف كأنه كلمة حازمة •• كيان رائع نازك •• هى حرية فى حركاتها ، فى حديثها ، فى لفتة الجيد منها ؛ فى ايماءة الرأس ، فى الشعر العربيد على كتفيها ينساب كأنه أحلام عذرية حتى ليخال المرء أنه بلا نهاية •• فنهايته بداية ، بحر من أشعة الشمس حين تميل الى الغروب ، بحر متلاطم بلا شطآن ، بلا أول ولا آخر •

وتلتفت اليه فجأة وكأنها لم تكن تحس بنظـرته التى التصقت بها منذ بذلت له وعدها الأخير :

ــ ألا نذهب للعشاء ؟

وينتفض واقفا عن قامة تنحو الى القصر بعض الشىء ، وينحنى فى كبرياء ويقول :

ــ بكل تأكيد •

وفى الطريق الى المائدة بهمس :

ـــ ننصرف بعد العشاء مباشرة •
ـــ بل ننتظر حتى يبدأ الرقص •
ـــ أترقصين ؟
ـــ أتريد أن ترقص ؟
ـــ ليس هنا •

— ٣ —

لقد أردت .. لماذا .. لا أدرى .. هكذا أردت .. أن أعطى نفسى .. هذا الكنز الذى تتهدم الدنيا اذا أعطيته بلا زواج أعطيته أنا بلا زواج ، ولتتهدم الدنيا بعد ذلك ، وليفعل أبى هذا التركى ما شاء له هواه .. لماذا يبيح لنفسه هو أن يحب ويختار ويتزوج أمى الفرنسية ، ولا يكون ذلك لى أنا ؟ .. هل أحببت ؟ .. لقد أردت .. ولكن هل أحببت ؟ .. ما يهم .. نامق فتى تتسابق اليه نساء مصر جميعا .. مالى ولمصر .. أبى تركى وأمى فرنسية .. اذا تهدمت الدنيا هنا أستطيع دائما أن أذهب الى أهل أمى فى فرنسا ... باريس مدينة النور .. هل فيما فعلت نور ؟ .. لقد أردت .. وفعلت .. نامق .. لا يملك شيئا الا نصيبه من الوقف ، ولو شاء عمه لأصبح لا يملك شيئا .. ولكن هل أفكر فى الزواج به ؟ وهل هذا هو الطريق الى الزواج ان كنت أريده ؟ .. انما أردت أن أعطى نفسى وبلا سبب ... بلا حب ، بلا تفكير فى زواج ..

أما لماذا اختارت نامق فهذا حديث آخر .. ليس نامق صغيرا انما هو يحث الخطى الى الأربعين ، وقد كان زوجا

من قبل وله ابنته نديرة من زوجته الهام الابنة الكبرى لفهمى باشا محسن المستحق فى الوقف ، وقد انتقل بوفاته الاستحقاق فى الوقف الى ابنته الهام . ولكن هذه القرابة وهذا الزواج لم يمنع نامق أن يوطد علاقته بالسيدة جيهان عثمان زوجة نصر الدين بك فتحى ••• وكانت هذه العلاقة بين نامق وجيهان تسمح له أن يكون معها فى غرفة نوم واحدة • بل وفى سرير واحد •• وقد كانت هذه الحجرة وهذا السرير فى أغلب الأحيان بمنزل سعادة نصر الدين بك فتحى •

وفى يوم سافر فيه نصر الدين بك وخلت القاهرة بنامق وجيهان ، وضمهما منزل نصر الدين أول الليل ثم ضمتهما غرفة النوم والسرير آخر الليل •• وعاد نصر الدين الى البيت دون أن يسافر ووجد مكانه فى السرير مشغولا ، وكان نصر الدين بك من الذين يحملون المسدس فى جيوبهم فهو يخرج مسدسه فى سرعة ويطلق النار على ذلك الرجل الذى شغل مكانه ، وتصيب الرصاصة كتف نامق ويزيط البيت ويستدعى الأطباء ، ونقل نامق بك الى منزله حتى لا يذهب الى المستشفى ، وتتواكب الأسئلة لتكشف من الأمر ما ينبغى له أن يستتر • وهكذا دبر الأمر ببراعة ليصبح ذائعا شائعا فى كل مكان •• فقد لعب التكتم دوره فى اذاعة الخبر ؛ أصبح نامق بين ليلة وصباحها رغبة نساء المجتمع جميعا •

ومنذ أن شفى نامق وهو لا يكاد يجد فرصة ليختار ،

فقد أصبحت السيدات هن اللواتى يخترن أنفسهن له • فليس من الغريب اذن أن تجد نازك نفسها راغبة فى هذه الصلة ، ولا بأس عليها أنها ليست سيدة ، وما الذى يمنع أن ينقلها هو من آنسة الى سيدة ؟ •• لقد نسبت ودوى نامق يهوم فى كل أفق تتجه اليه •• وألقت اليه هذه النظرات الواعدة ، وما زالت به حتى كان هذا اللقاء فى بيته ولا يدرى به أحد الا صديقتها كريمة • ان كريمة تعرف عنها كل شىء •

— أهلا كريمة •

— هيه •• ما الأخبار ؟

— أبدا •• لا يوجد •

— تذهبين اليه الليلة ؟

— لا أدرى •

— لا يا حبيبتى ، قولى لى حتى أعد نفسى •

— هل عندك شىء الليلة ؟

— الواحدة يجب أن تهتم بمستقبلها •

— عندك الليلة مستقبل ؟

— طبعا •

— مثلى أنا ونامق ؟

— ليس تماما •

— لا أفهم •

— أنت وصلت لآخر الشوط •

ـــ وأنت ؟

ـــ أنتظر الزواج .

ـــ وهل يهم الزواج الى هذا الحد ؟

ـــ يا حبيبتى أنت لا يهمك . أما أنا فان لم أتزوج فلا حياة لى .

ـــ ومستقبلك وكيل النيابة ؟

ـــ شاب طيب .

ـــ تلتقيان بالشباك كما هى العادة ؟

ـــ يمر من تحت الشباك قبل المغرب وقد كوى طربوشه ولمع حذاءه .. ينظر فى حياء الى أعلى ، ان رآنى وقف ... ان ابتسمت حيا ، ان كشرت انصرف .

ـــ يا عينى !

ـــ ان قابلته رفض أن يتزوجنى .

ـــ فأنت اذن تنصبين الشباك .

ـــ ولابد أن تصيب .

ـــ هل سيأتى الليلة ؟

ـــ لقد بدأ يتكلم فى الخطوبة .

ـــ فموعدك هام .

ـــ اذا كنت لا تريدين أن أبقى .

ـــ المفروض ألا تكونى فى البيت حين يجىء .

ـــ لماذا ؟



يا حبيبتى أنت لا يهمك ، أما أنا فإن لم أتزوج فلا حياة لى.

ـــ لتتظاهرى أنك لا تعرفين .

ـــ أمس قال انه يريد أن يخطبنى .

ـــ هل احمر وجهه وهو يقول لك هذا ؟

ـــ انه أحمر ؛ وطربوشه أحمر ، ويضع وردة حمراء فى جاكتته . خجول بطبيعة لونه ... مهما يخجل لا يستطيع أن يزيد لونه احمرارا .

ـــ المفروض أنك لم تريه رسميا .

ـــ كيف ؟

ـــ الشباك غير رسمى كما تعلمين .

ـــ ألم أقل لك انه صديق أخى ، وكان يجىء معه الى البيت ونلتقى ؟

ـــ آه صحيح ... فما حكاية الشباك ؟

ـــ تعجبه .

ـــ قرأ عن سيرانو دى برجراك ؟

ـــ ولكنه ليس قبيحا .

ـــ هل عندك فستان يليق بالمناسبة ؟

ـــ أنت تعرفين كل فساتينى .

ـــ وأنت تعرفين كل فساتينى .

ـــ لا مقارنة .

ـــ انتقى ما تشائين .

ـــ حقا ؟ !

— أنت لن تخطبي مرتين .

— فأنت لا تريدينني الليلة ؟

— ارجعي الى حين تنتهي الخطوبة ..

* ★ *

— هيه هل نقول مبروك !

— طبعا ... أنت تعرفين كريمة .

— ماذا حصل .. احكي لي .

— قرأ أبي الفاتحة .

— ومتى الزواج ؟

— حالا .

— مستعجل ؟

— سيجن .

— يبدو أنه ليس وحده الذي سيجن ..

— على فكرة هل عرفت أن محمد باشا الأزميرلي مريض ؟

— عم نامق ؟

— نعم .. ناظر الوقف .

— بالنسبة لنامق الأمر لا يهم .. سيصبح حسن بك ناظرا على الوقف مكان أبيه ، ويظل يأخذ نصيبه منه .

— لا أظن .

— كيف ؟

ـــ هناك اشاعة تقول ان حسن لا يريد أن يكون ناظر الوقف .

ـــ حقا ... لماذا ؟

ـــ انه يحب السفر ، والوقف سيمنعه من هوايته .

ـــ فمن يكون ناظر الوقف ؟

ـــ نامق بك طبعا .

ـــ ماذا ؟

ألقتها نازك ... ثم ألقت عينيها العميقتين الى فراغ .. لحظة .. ثم لحظة ثم نظرت الى كريمة .

ـــ ماذا قلت :

ـــ طبعا .. هذه شروط الوقفية .. يتولاها الابن الأكبر من أولاد الأخ التالى ... يعنى نامق .

ـــ من قال لك هذا ؟

ـــ فتوح وكيل نيابة .. يحفظ هذه الأمور غيبا .

ـــ أذن ؟ ..

ـــ نامق سيكون ناظر الوقف .

ـــ هل يستطيع فتوح أن يحضر لى صورة من الوقفية ؟

ـــ ممكن .. فقط ماذا أقول له ؟

ـــ اسمعى .. لا داعى لأن يحضر الوقفية جميعها ،

فقط اسأليه وأنتما تتحادثان ، ما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فى ناظر الوقف ؟ •

★ ★ ★

ــ يقول انه يجب أن يكون بالغا رشيدا عاقلا حسن السير والسلوك طيب السمعه •

ــ ماذا ؟

ــ طيب السمعة •

ــ الا يجوز أن تذكر حكاية جيهان ؟

ــ حكاية جيهان نسيت •••

ــ من قال لك هذا ؟

ــ أنا سألت ••

ــ لماذا نسيت ؟

ــ لأنه ان لم يعين نامق فالمرشح لنظارة الوقف سليمان أخوه ، وهو كما تعلمين سفيه ومجنون ، والمنتفعون بالوقف لن يقبلوه •

ــ فحكاية جيهان اذن نسيت ؟

ــ يجب أن تنسى •

ــ ماذا يحدث لو ظهرت حكاية أخرى مثل حكاية جيهان ؟

ــ ماذا ؟ •• ماذا قلت ؟

ــ لا شيء •• لا شيء •• أتخرجين معى ؟

ــ الليلة ؟

ـ الليلة •

ـ لن تجدى نامق الليلة •• انه مشغول مع عمه •

ـ لا يهم •• سيعود •

ـ سيتأخر •

ـ وما البأس أن أتأخر عندك وأنت مقدمة على زواج ؟

ـ تذهبين عندى اذن وتبقين فترة ، ثم نذهب الى نامق •

ـ لا ينقصك الذكاء •

ـ تلميذتك •

مرت شهور عليها منذ أسلمت نفسها له ... لقد أسلمتها
له لأنها ثائرة على أبيها وعلى التقاليد ، ولأنها تريد أن تهدم
هذا الحائط الذى يفرضه أبوها عليها ... كانت هى نفسها
تسخر من أبيها ومن هذه القيود الذى يظن أنه يستطيع أن
يفرض بها العفاف عليها .. انها تستطيع حين تشاء أن تصنع
ما تشاء ... وكانت تقع فى نقاش مع نفسها لا يبلغ مستوى
الصراع ، وانما كانت تعتقد أنها فى اللحظة الأخيرة ستمتنع
وتخشى الفضيحة ، ولكنها ما تلبث أن ترى الفضيحة نفسها
شيئا غير مزعج ، فقد شهدت اللواتى أثرن الفضيحة لا ينتقم
منهن المجتمع وانما يصبحن همسة بين الأفواه ثم لا شىء بعد
ذلك ... فهن حيث يدخلن موضع احترام الناس ، وهن
يتمتعن بجو أثيرى خاص يجعل منهن مادة نادرة لا تماثلها
فيها الأخريات اللواتى لم تثر حولهن الهمسات ... وهى
لا يضيرها أن تكون هذه الهمسة ، بل انها يسرها أن تكونها ...
وهى تستمتع ... تستمتع باللقاء الخفى وبالأسرار لا تعرفها
الا كريمة ... وهذه الخفقة المجنحة التى ترفرف فى كيانها

كله حين تستعيد ما كان •• وتستمتع بنفسها حين تعود من بيته لتكون مرة أخرى هذه الفتاة البريئة التى تخضع لما يفرضه عليها أبوها من رقابة ••• وتستمتع بهذا الوجيب وهى تنتظر اللقاء ، وتستمتع بما تعده لهذا اللقاء •• تعد ما ستقوله ثم تنساه ، وتستمتع بما تعد وتستمتع بما تنسى ؛ ولا تفكر فى الغد الا اذا كان الغد يحمل اللقاء ••• انها فى هذه الشهور تعيس حبا •• أو هى توهم نفسها أنها تعيش حبا •• لا يهم •• وما الفرق بين الحقيقة والوهم ما دام كلاهما يصل بها الى هذه النشوة التى تجتاحها ؟ •• ولكن المؤكد أنها تعيش نفسها كما تريد لنفسها أن تكون •• تلك هى الحياة التى تحب أن تحياها وهى تحياها •• أسطورة هى من أساطير الليل واللقاء المستخفى والآهة الحالمة والهمسة النشوى ••• كم من النساء مررن بالحياة فما خلدن كما خلدت • أولئك اللواتى أحببن الملوك •. انها تريد أن تكون واحدة من أولئك ••• لا تحب أن تمر بها الحياة فلا تلقى اليها نظرة تعرف ولا ومضة ذكرى ، انها تريد أن تدمغ الحياة حولها باسمها ، فلابد أن تذكرها الحياة ••• أهذا هو الطريق ؟ •• انها لا تعرف طريقا غيره •• قد يعتبره أولئك الأصنام أصحاب الياقات المنشاة والطرابيش الحمر الصارخة الاحمرار نوعا من النزق ، ولكنهم جميعا مع كل آرائهم يتمنون منها نظرة اعجاب أو نظرة تعرف • هكذا كانوا يصنعون مع اللواتى آثرن

الهمسات قبلها .، وحين تثير الهمس لن تتغير معها القاعدة ..
انها لعبة الألفاظ السخيفة التى يقولونها .. يستجدون بألفاظهم
رضاء الرأى العام ، وتستجيب مشاعرهم لرغباتهم الخاصة
التى تمور فى نفوسهم وتعربد صاخبة بلا قيود من عرف
أو مجتمع أو رأى . عاما هذا الرأى أو خاصا .

ولكن الأمر الآن يختلف ... انه سيصبح ناظر الوقف ..
فهل ترى أستطيع ؟ . هل ترى أستطيع ؟ . وما مصير الهمس ؟!
.. والسحر الأثيرى ؟ .. وأين يمكن أن يذهب هذا ؟ .. ان
الهمس حينئذ سيكون أقوى أثرا .. اننى أستطيع أن أثير
الهمس فى أية لحظة أريد .. فى أى وقت أشاء .. وتحت أى
ظروف تبدو .. الغنى .. السلطة .. الحب .. والهمسة ..
أكون فى التاريخ ذكرى .. أكون ملتقى النظر .. همسة
العجوز الى نفسه ان خلا الى نفسه .. أمل الشباب فى أحلامه
المجنحة .. هذه الفكرة التى تفرض نفسها دون أن يستدعيها
الفكر .. هذه الكلمة التى تثب على آمال الرجال دون تفكير ..
فى اللحظة التى يفكر فيها المرء يأمر تفكيره أن يتجه الى حيث
يريد ، ثم تأتى لحظة على الفكر يتمرد على صاحبه ، ويفكر
هو فى غير خضوع أكون هذا التمرد .. لهيب خيالهم ..
أجنحة آمالهم ... له ... واحد من هذا الكون العريض ..
واحد فقط .. الناس جميعا .. من أعرف ومن لا أعرف ..

آلا يجتمع الواحد فى الجميع .. انما الواحد من الجميع .. ومالى لا أجمع الواحد مع الجميع ، وما البأس ، .. فى وضع خاص .. فى مكان معين ؟ ولكنه بعد منهم .. معهم .. كريمة .. أولاد .. الوقف .

ــ ستصبح ناظر وقف ..

ــ ولكنك أهم عندى .

ــ أريد أن أكون جادة بعض الوقت .

ــ الآن ؟

ــ طبعا .

ــ فى أول اللقاء .

ــ لن يكون هناك لقاء اذا لم نقل ما نريد .

ــ أهناك ما يقال ؟

ــ طبعا .

ــ قولى .

ــ ستصبح ناظر الوقف .

ــ ولكن هذا لن يمنع لقاءنا .

ــ المسألة ليست مسألة لقاء .

ــ اذن ؟

ــ لابد لناظر الوقف من زوجة .

ــ ماذا ؟

وصمت .. وصمتت .. وطال الصــمت .. فى لحظة

خاطفة أدرك كل ما تريد أن تقوله •• وفى لحظة خاطفة أدركت أنه فهم ما تريد أن تقوله ، فكان الكلام بينهما عديم الجدوى •• ولكن ومضة خطرت فى ذهنه :

ـــ ولكن ••

ـــ نعم ؟

ـــ لا •• لا شىء ••

ـــ ماذا تريد أن تقول ؟

ـــ فقط لم يكن من المقدر أن أكون ناظر الوقف .

ـــ أتظن أنها خطة مدبرة !

ـــ لا •• أبدا ، وانما فقط ••

ولم يكمل الجملة ولم تطلب هى اليه أن يكملها ، وعاد اليهما الصمت •• كيف دبرت ؟ •• أنا أعلم أنها لا تحبنى •• لم يجذبها الى الا ما جذب النساء الأخريات منذ حكاية جيهان •• هى أصغر •• ولم تكن سيدة حين عرفتها •• ولكنها هى التى أرادت •• اننى أعرف النساء حين يردن •• وأعرفهن حين يحببن •• لقد أرادت دون حب •• ان تكن ذكرت الحب فى اللقاءات فقد كان لابد له أن يذكر •• اننى أحس المكان الذى تصدر عنه كلمة الحب حين تقال •• أحسها •• ومن الصدى الذى يأتى منها أعرفها •• لم يكن حبا •• لقد أرادت وقد أردت، وهذا كل ما هناك . فكيف يمكن أن تصبح زوجة بعد هذا ؟ •• زوجة لى أنا •• أنا الرجل ؟ •• ولا شأن للوقف هنا •• أنا

الرجل .. كيف أجعل من هذه المرأة .. أصبحت الآن مرأة .. كيف أجعل منها زوجتي .. تحمل أسمي وشرفي أمانة فى يدها ؟ .. انها لم تحافظ على اسمها ولا شرفها هى ، فكيف تحافظ على اسمي وشرفي ؟ .. لا .. لا .. لا قاطعة .. ودون أن يحس ارتفع صوته وانتفض :

ـ لا ..

وصمتت لحظة ثم قالت فى هدوء :

ـ والوقف ؟

وعاد الصمت ...

لم تصبح المشكلة مشكلة نظارة الوقف ، انما أصبحت المشكلة مشكلة الوقف جميعا .. لن يصبح ناظر وقف هذا لا شك فيه ، ولكن من المحتمل ان لم يكن من المؤكد أن أخاه سيخرجه من الوقف جميعا .. أليس ناظر الوقف وله حق الادخال والاخراج ؟ وسيجد أخوه الفرصة سانحة أعظم ما يكون السنوح .. أخ فاسد بلغ الأربعين من عمره ويقضى على شرف بنت لم تعد التاسعة عشرة من عمرها . انه لا يستحق أن يكون ضمن المنتفعين بالوقف .. خذل أجداده فى قبورهم ، وخذل أقرباءه فى حياتهم ، وأساء الى سمعة الأسرة جميعا .. الأسباب قوية .. الضياع بعد ذلك والفقر الموحش . ولكن زواجها .. ؟ زواجها هو الشرف المضاع .. سيصبح اسمى

أضحوكة فى فم الناس اجمعين .. كيف اذن أتصرف ؟ .. هل أقضى على شرفى لأحافظ على شرفى ؟ ..

ابتسم ..

وابتسمت ..

ولم يقطع الابتسام منهما الصمت بينهما ، ولكنها فى هذه المرة لم تسمح للصمت أن يطول :

ــ هيه ؟

قالتها طويلة عميقة تحمل التهديد ونفاد الصبر .

ــ أفكر .

ــ ألم تكن تفكر ؟

ــ الأمر يحتاج الى تفكير طويل .

ــ هل تعتقد ذلك ؟

ــ أنا لم أعدك بالزواج .

ــ وهل قلت انك وعدتنى ؟

ــ أفكر اذن .

ــ لا تجعل التفكير يطول .

ــ أليس لى حق التفكير ؟

ــ الوقت لا يسمح بالتفكير الطويل ... لابد أن أعرف رأيك قبل أن تصبح ناظر الوقف .

ــ لماذا ؟

ـــ سيكون الوقت متأخرا ، وعزل ناظر الوقف أصعب مائة مرة من العدول عن تعيينه •

ـــ آه فهمت ••

ـــ أنت فاهم من أول لحظة •

ـــ هيه •

ـــ متى أعرف رأيك ؟

ـــ قبل أن تفكرى فى الكلام سأكون قد انتهيت الى رأى •

ـــ ألم أقل لك انك فاهم من أول لحظة ؟

وصمت قليلا قبل أن يقول :

ـــ نعم فاهم •

★ ★ ★

لن تفلت الفرصة •• لقد جاءتها من حيث لا تحتسب •• ولن تدعها تفلت منها •• والأمر فى ظاهره لا غبار عليه •• وأى عجب أن يتزوج نامق ابراهيم من نازك هانم شكرى ؟ •• كلمة هانم مهمة غاية الأهمية •• أسرتها لا بأس بها وأبوها رجل محترم •• ولا أحد يعرف عن نازك من سوء الا أنا •• وأنا الذى يجب أن يتزوجها •• أنا وحدى دون الناس الآخرين الذين لا يعرفون عليها من سوء •• لو سألنى أى شاب من الناس الآخرين لقلت له انها خير زوجة •• شخص واحد ينبغى

له ألا يتزوجها .. هذا الشخص هو أنا ، لأننى أنا الشخص الوحيد الذى يعرف عنها ما أعرف .

ولو كانت كريمة رجلا لأصبحنا اثنين ، ماذا أفعل ؟ .. لو أبيت .. لو قبلت ..

أيمكن ؟.. مستحيل .. ولماذا لا ؟.. لا يمكن .. مستحيل .. لو فعلت لما تغير الوضع .. ان اعلان الخطوبة سيربط اسمها بى ، وتستطيع حينئذ أن تجد الفرصة أوسع فى التشهير بى . ولكن هذه المرأة لا تخاف ؟ ألا تخشى .. كيف تقبل أن تتزوجنى بالتهديد .. انها داهية ؛ لقد قدرت أننى لو أسأت معاملتها فسيرمينى الناس بالوحشية ... انها ستصبح زوجتى لها علي حق الرعاية ، ولابد أيضا أن تكون دائما موضع الاجلال والإحترام ؛ فانها ستصبح حرم الباشا ناظر الوقف .. طبعا الباشا ، فكل من أصبح ناظرا على هذا الوقف نال الباشوية ، أيمكن أن تكون حرم الباشا مهانة ذليلة ؟.. انها داهية .. ولكن الزواج .. هذه الرابطة العجيبة التى لاتماثلها رابطة فى العالم ،كيف يمكن أن تقوم على تهديد ؟.. على غير رغبة من الطرفين ؟ .. كم من زيجات تمت فى مصر ولم يكن للزوجة رأى فيها .. فليكن الزواج فى هذه المرة والرجل مرغم .. ولكن الرجل هو الذى يملك الأمر .. يستطيع

أن يجعل حياة زوجته قاتمه مريره لا تحتمل •• هذا ممكن اذا لم تكن الزوجة حرم الباشا ناظر الوقف •

ولكن ناظر الوقف يظل مع هذا رجلا ••• وللرجل سلطان أى سلطان •• ماذا لو استعملت هذا السلطان •• وهى على كل حال لم تهب نفسها لغيرى •• ولكن ابنى •• أى ابن •• المفروض أن يكون لى منها أبناء •• هذا الابن سيصبح ناظر الوقف من بعدى •• كيف تكون أمه نازك ؟ •• ان لم أتزوجها فلن يكون هناك وقف على الاطلاق وان تزوجتها فلن تكون هناك رجولة على الاطلاق •• عجيبة هذه الحياة •• هل كنت أتصور أن أفكر أنا فى زواج فتاة أسلمتنى نفسها وكأنها تقدم لى كوب ماء ؟ •• لا يستطيع الرجل أن يحافظ على المبادىء فى حياته •• لماذا لا يستطيع ؟ •• أليس هو طمعى فى نظارة الوقف الذى يرغمنى على هذا الموقف ؟ •• اننى أنا الذى أختار بين أن أكون رجلا أو أكون ناظر الوقف •• هل أستطيع بعد ذلك أن أدعى أننى صاحب مبادىء ؟ •• المبادىء لا تتجزأ •• اما أن أحافظ عليها جميعا أو لا أحافظ عليها جميعا •• ولكن من سيدرى أننى لم أحافظ عليها •• كريمة •• كريمة •• لا تهم فهى لن تفتح فمها •• الوقف يضمن سكوتها •• ولكن هل المبادىء هى التى يراها الناس أم التى أراها أنا ؟ •• اننى أبحث عن نفسى أمام نفسى •• لقد سمحت لنفسك أن تقيم هذه الصلة بينك وبين نازك فعليك أن تتحمل المسئولية ••• وهل

أتحمل المسئولية لأنني أقمت معها هذه الصلة أم لأنها هى ترغمني على الزواج ••• وترغمني من أجل نظارة الوقف لا من أجل مسئوليتى •• أستطيع أن أقول لنفسى انني •• وهل تقبل نفسى •• وهل أقبل أن •• أليس الأجدر بى أن أكون صادقا مع نفسى على الأقل •• وما البأس أن يكون السبب هو هذا الواقع ؟ •• ولكن •• الوقف •• أخى •• الوقف عظمة ورفعة ؛ ولكن الرجولة وشعورى بالكرامة واطمئناني على بيتى •• هـــذا هـــو الاختيـــار • عليك أن تختـــار بـــين الوقف بما فيه من جلال وعظمة وسلطان ، وبين اطمئنانك على بيتك ••• مجرد اطمئنانك على بيتك •• جيهان •• الهام •• نديرة •• الوقف •• خيل العربة ، لابد أن أشترى خيلا للعربة •• هل أشرب من نفس الكأس الذى سقيته لالهام •• ونديرة ما ذنبها ؟ •• طلقت أمها •• انها هى التى رفضت أن تعيش معى بعد حكاية جيهان •• أترى ان لم تكن الهام متزوجة كانت تقبل أن تعود الى الآن وأنا ناظر وقف ؟ •• الهام كانت تحب نامق •• نامق الرجل ولن تغريها نظـــارة الوقف •• لقد حطمت معبودها ولن تعود للمعبود المحطم حتى وان كان ناظر الوقف •• نظارة الوقف لا تستطيع أن تصلح ماتحطم •• وكم انسان فى الدنيا مثل الهام •• ونديرة •• قد يسرها أن أصبح ناظر الوقف ولكن هذا لن يزيد حبها

بى •• خيل العربة •• لابد أن أشترى للعربة خيلا •• نازك
.. كم أكرهك .. أكرهك الى درجة أنى أحبك .. أحبك لماذا تجعلين
من نفسك ارغاما لى ؟ •• لماذا ترمين بنفسك الى أتون محرق
من الكراهية وأنت حبيبة •• حبيبة ؟ •• كيف سأحبك ؟ ••
وكيف سأكرهك ؟ •• أى نوع من الحياة ستقوم بيننا ؟ •• وهل
ستقوم بيننا حياة ؟

— ٥ —

بضع الطربوش مستقيما على رأسه كأنه الطريق الذى يجب أن يسيره فى الحياة ، أبيض الوجه ذلك البياض الذى ينم على تدخل العنصر التركى فى أصوله .. يميل الى القصر بعض الشىء ويميل الى السمنة بعض الشىء أيضا ، عيناه بسيطتان لا عمق فيهما وانما فيهما صراحة .. يعرف طريقه تماما لأنه طريق لا التواء فى ظاهره . دخل الى مدرسة الحقوق لأن طبقته كلها يجب أن تدخل الى مدرسة الحقوق .. سمع ناظر المعارف يقول لوالده : تصور أننى وجدت الموظفين عندى يقيدون اسم ابن أخيك فى كلية الطب فنهرتهم وأمرتهم بتحويل أوراقه الى كلية الحقوق بلا كلام فارغ . ولم يكن محتاجا الى هذا الحديث لتذهب أوراقه الى كلية الحقوق ، ولو كان قد ترك أوراقه لشأنها لاتجهت من تلقاء نفسها الى كلية الحقوق . وحين تخرج اتجهت أوراقه من تلقاء نفسها الى المحكمة المختلطة . طريق مرسوم وضحت معالمه منذ أعلنت الحاضنة أنه ولد ، ولم يكن أبوه مختار بك صبحى محتاجا أن يرسم هذا الطريق فالطريق مرسوم بطبيعة مولده ، وهو

يسير فيه لأنه لا يجد في نفسه رغبه أن يسير في طريق آخر .
ولأنه يجده طريقا جميلا مقرونا بالتوقير والاحترام والمكانة اللائقة به وبمولده .

هذا كله عظيم ، ولكن يبقى أنا بعد ذلك ... جميل أن يحف بي التوقير والاحترام ، وأن يستقيم الطربوش ، ولكن أنا ... يسري مختار ... أحب النساء وأحب الكأس وأحب أن يمرح شبابي ويهنأ بما يهنأ به شباب الناس ... أنا يسري مختار لا أمانع مطلقا أن يستقيم طربوشي ما دمت أسير بهذا الطربوش في الشارع ، ولكن هنا في هذه الغرفة مع سميحة أحب أن أخلع الطربوش وأن أنسى المحكمة المختلطة و ...

ـ تأخرت البوسة .

ـ الليل طويل .

ـ ومع ذلك تأخرت البوسة .

ـ أكمل كأسك .

ـ أيمنع الكأس .

ـ بالعكس .

ـ لماذا المناقشة ؟

ـ ان لم نتكلم فماذا نفعل ؟

ـ ألا تعرفين ماذا نفعل ؟

ـ الليل طويل .

ـــ أنقضيه فى الكلام ؟
ـــ نقضى بعضه .
ـــ خلى الكلام للمحكمة .
ـــ أريد أن أتكلم .
ـــ خلى الكلام للمحكمة .
ـــ أليس لى الحق أن أريد ؟
ـــ رجعنا للكلام .
ـــ لابد أن أتكلم .
ـــ أكره الكلام ... أكره الكلام .
ـــ الكلام مهم .
ـــ كلام فارغ .
ـــ مهم .
ـــ تولى .
ـــ ماذا تنوى ؟
ـــ آخذ بوسة .
ـــ لا تهرب .
ـــ سألت وجاوبت .
ـــ لا أصدقك .
ـــ آخذ بوسة .
ـــ لا أصدقك .
ـــ وكيف أجعلك تصدقين ؟

ـــ لا أعرف .

ـــ ألا يمكن أن تعطيني بوسة الى أن تعرفي ؟

ـــ لا تريد أن تكلمني جادا .

ـــ أقسم لك أن البوسة أعظم من أى كلام يقوله البشر .

ـــ ومصيرى ؟

ـــ مرتبط بالبوسة .

ـــ ألهذا تأتى الى ؟

ـــ وهل هذا قليل ؟

ـــ قد تزهد فى .

ـــ لا تجعليني أزهد .

ـــ خائفة .

ـــ أنا لم أكذب عليك أبدا .

ـــ الوضع سيختلف .

ـــ أنا لم أكذب عليك أبدا ..

★ ★ ★

حين كان نامق بك فى مكتبه كانت عيناه شاخصتين الى الجريدة لأنه لابد أن يقرأ الجريدة ، ولكن ... ماذا سأفعل .. سأراها اليوم .. ولابد اليوم أن أقول ...

مختار بك صبحى بالخارج يريد أن يلقى سعادتك .. نعم طلب منى موعدا .. ماذا يريد هو الآخر ؟ .. الديك الرومى



أقسم لك أن البوسة أعظم من أى كلام يقوله البشر

هو .. قل له يتفضل .

ـ أهلا سعادة البك .

ـ أهلا نامق بك .

ماذا يريد .. منتفخ كعادته .. مؤدب كعادته .. ذلك الأدب البغيض .. اكسلانس .. بغيض لماذا تريد أن تتزوج منى رغم أنفى ؟ .. الرجل يتكلم .. اسمع ما يقول .. طبعا لابد من مقدمات .. لابد من كلام فى السياسة فأمثالنا لابد أن يتكلموا فى السياسة اذا ما التقوا .. طبعا سيتكلم بعد ذلك فى البورصة .. بدأت البورصة .. ثم الزراعة .. لم ينته من البورصة .. حديثها طويل .. اكسلانس .. البورصة ما تزال .. ثم الزراعة .. وبعد .. وبعد الزراعة ؟

ـ اكسلانس جئت أخطب ابنتك بديرة لابنى يسرى .

وكاد نامق لولا الوقار أن يقفز من كرسيه .

ـ زواج .

ونظر اليه مختار بك دهشا ، وما أسرع ما تملك نامق بك نفسه .

ـ اكسلانس .

ـ لم أكن أتوقع هذا الحديث .

ـ لابد لكل حديث من بداية .

ـ طبعا مختار بك لا يمكن أن أمانع ، ولكن أنت تعرف الوضع .

ـــ أنت الوالد .

ـــ ولكن أمها هى التى ترعاها .

ـــ أنت الوالد .

ـــ من جهتى لا أمانع .

ـــ فالأمر منته .

ـــ وهو كذلك .

وهم مختار بك بالضحك ، ولكنه يسمع نامق يستدرك :

ـــ انما قل لى يا مختار بك .. اننا لم نعرف رأى نديرة .

ووجم الضحك على وجه مختار وظل لحظات فاغرا فاه ، ثم ...

ـــ رأى من ؟ !

ـــ نديرة .. ألم تقل انك تخطب نديرة .

ـــ أنت تمزح لا شك يا نادق بك .. منــذ متى تسأل البنات ؟

صحيح .. فما قولك يا مختار بك فى رجل لا يستطيع أن يقول رأيه فى نفسه .. أطبق عليه الزواج ولا يستطيع منه فكاكا . صحيح .. صحيح ..

ـــ صحيح .. صحيح .

وضحك مختار أخيرا وهو يقول :

ـــ لطيفة هذه النكتة ... لم يبق الا أن نسأل البنات .

وضحك نامق فى بله وحيرة :

ـ صحيح .. لم يبق الا أن نسأل البنات .

* * *

ـ تستطيع الآن أن تقول ماذا تنوى أن تفعل .

ـ ألم أقل ؟

ـ ولكنى غير مطمئن .

ـ ما الجديد ؟

ـ ألا تعرف ؟

ـ ولكن ما الجديد ؟

ـ لن تكون حرا .

ـ وهكذا ستصبح حاجتى اليك أشد .

ـ أترى ذلك ؟

ـ ألا تعرفين ذلك ؟

— ٦ —

اذن سيعود اليوم . مرت سنوات لم أسمع صوته . ولم أشعر بأنفاسه تتردد حولى ، ولم أنعم بهذا الدفء الذى أحسه فى جواره ولا أحسه فى جوار أحـد آخر من الناس . أى مشاعر عجيبة هذه ! كيف أحبه كل هذا الحب وأنا لا أراه ؟!

ـ أبى ، ألست ابن باشا ؟!

ـ وأى عجيبة فى هذا ؟

ـ العجيبة أنك دخلت الأزهر .

ـ لم يكن لنا خيار يا ابنى .. وكان لابـد أن أدخل الأزهر .

ـ الباشا والدك كان فقيرا ؟

ـ لم يكن غنيا على كل حال .

ـ سمعتك تقول ان التعليم فى الأزهر كان مجانا .

ـ ليس هذا هو السبب .

ـ هناك سبب آخر اذن ؟

ـ قل لى يا صالح ، ألا تجد فى أبيك شيئا غريبا ؟

ـــ انك أبى ٠

ـــ هذا لا يكفى ٠

ـــ كان يمكن أن تدخل مدرسة مع ذلك ٠

ـــ لست صغيرا يا صالح ٠٠ ، ان أصلح معهد لمن كان مثلى هو الأزهر الشريف ٠

ـــ من أجل هذا اذن ٠

ولكن هذه العمامة على رأسى لم تكن تقيد حركته ٠ أو آلنى أرجو ألا أكون قيدا على حريته ٠٠ تركته يفعل ما يشاء ٠٠ وأحببته ٠ سبحان الله كيف أحبه كل هذا الحب !! ٠٠ أحب صوته وأحن اليه ٠٠ ذلك الحنين الذى يرويه المحبون فى أشعارهم ٠ وما لى أعجب ؟ ألم أكن احب أبى وأمى ؟ ٠ وزوجتى ألم أكن أحبها ؟ ٠٠ بعد أن تزوجنا ٠٠ لا بأس ولكنى أحببتها ٠٠ أحببت رعايتها لى وحدبها على ٠٠٠ كل هذه الأنواع من الحب مبعثها أنا ٠٠ أحببت أبى وأمى وزوجتى لأنهم أحبونى ٠٠ لقد أحببت نفسى فى حبى لهم ٠٠ ولكن ابنى الذى أغدق عليه ما وسعنى الجهد ، وأنفق فى سبيل تعليمه ورغباته ما أطيق ، لماذا أحبه كل هذا الحب ؟ ٠٠ لعلنى أحب نفسى فيه ، ومن أدرانى أنه يحمل صورتى ؟ ٠٠ يقولون ٠٠ ألا يقولون لكل والد أن ابنه يشبهه ٠٠ ؟ أحقا حبه يحملنى الى الأجيال القادمة ؟ ٠٠ وما الأجيال القادمة وما قيمتها وأنا فى عالم

آخر لا ينفع فيه مال ولا بنون ؟ .. لعلنى أحب أن أعيش فى ابنى بعد أن أموت ، وهل نعمت بالعيش قبل أن أموت ؟ لعلنى أحب أن أعيش فيه مبصرا .. المفروض أننى سأكون مبصرا فى العالم الآخر .

ــ أطال الله عمرك يا بنى .

ــ قل ما تريد ..

ــ اتركنى أدع لك أولا .

ــ لأنك تريد شيئا ..

ــ لأنى أريد أن أدعو لك .

ــ لماذا ؟

ــ لأنى أبوك .

ــ لأنك كل شىء .

ــ لأنى أبوك .

ــ هناك كثير من الآباء لا يصنعون ما تصنع .

ــ أحببت أن تعيش حياتك كما أردت أن تعيشها .

ــ نعم .. مع أنك لم تقل أبدا ، الا أننى أحسست دائما أنك تريدنى أن أعيش الحياة التى أريدها .

ــ من أجل هذا قلت الدعاء .

ــ وأنا أعلم أنك لست وافر الغنى ، ومع ذلك ..

ــ أننى وافر الغنى بك .

ـ لعلنى أوسع نافذة تبتلع مالك .
ـ أحب أن أفعل ذاك .
ـ ترى يا أبى لو ...
ـ قل ...
ـ لو فكرت أن ...
ـ لو فكرت أن ...
ـ لقد أنهيت ليسانس الحقوق ومن حقك أن تتزوج اذا شئت .
ـ أتزوج ؟ !
ـ أليس هذا ما تريد ... ما هذا الصمت ؟ ... انك رجل ... قل ... أهو الزواج ما تريد ؟
ـ هل أنت يا أبى مستعد للزواج اذا كنت أريد أن أتزوج ؟
ـ طبعا ...
ـ فان طلبت اليك مطلبا آخر ؟
ـ مثل ماذا ؟
ـ مثل السفر الى الخارج .

ما أسخف أن يعلن الانسان عن مبادئه .. أصبحت بين شقى الرحى يومذاك ... بين اعلانى أننى أريده أن يحيا حياته كما يشتهى وبين هلعى ولهفتى أن غاب عنى .. سنوات ... سنوات ... وأنا أشتاق اليه وهو فى غيبة النهار .. أو غيبة المساء .. لا . وماذا تنفع لا وهى مهيضة الجناح

لا تستند على منطق ؟ .. العاطفة لا تسعف هنا .. أتقف عثرة فى مستقبلى لأنك ستشتاق الى ؟ .. ان أعظم تضحية أقدمها أن أخفى شوقى .. وأخفى قلقى .. ذلك القلق الآسر العربيد المخيف .. ابنى وحيد فى بلاد غريبة عنى وعن أمه وعن الأهل والأصدقاء . ليس ذنبه أنه وحيدى وأننى لا أريد أن أقلق عليه .. ليس ذنبه أن المخاوف تتخطف قلبى كلما تأخر عن موعده دقائق .. ليس هذا ذنبه .. وليس شىء من هذا جميعه يصلح حجة تقف به أن يسافر الى الخارج .

ويعود ويصفه من يحبنى من الناس . أنيق . فى مظهره شموخ وفى نظراته ابتاس وترفع وقدرة على اجتذاب حب الآخرين .. أتراهم يصدقوننى فى وصفه ؟ .. لعلهم يريدون أن يرضوا نوازع الحب فى نفسى ، ولكنهم يقولون صفات بعينها محددة لعلها لا تكون مكتملة ، ولكن لابد أنه يتصف بشىء منها على الأقل .

أما حديثه فانى أستطيع أن أحكم عليه ... انها هوايتى وخبرتى أن أحكم على الناس من أحاديثهم . وهل أملك الا أن أحكم على الناس من أحاديثهم ؟ ولكن هل أستطيع أن أحكم على صالح وهو ابنى ؟ وما يعنينى أن كان حكمى صادقا أو غير صادق ؟ انه رأيى أنا فى ابنى وأنا سعيد به ، وليكن للناس جميعا بعد ذلك رأى مختلف .. ماذا يعنينى أنا رأى الناس ؟

انه يستطيع بحديثه أن يأسر قلب محدثه ، ويستطيع أن يشعر من أمامه أن كلاهما مهم ، وأن حديث كليهما على جانب كبير من الأهمية . وهو يجيد ذلك فى براعة لا تكلف بها ولا تصنع ، لو لم يكن رأيى هذا صحيحا لما استطاع أن يصل الى منصبه مفتش داخلية فى سنوات قليلة ، ولو لم يكن رأيى هذا صحيحا لما استطاع أن ...

ــ أبى .

ــ أفندم يا حضرة المفتش ؟

ــ المفتش يريد أن بفتش عن شىء آخر .

ــ خير ... يبدو أن آمالك لا تقف عند حد .

ــ أتريدها يا أبى أن تقف ؟

ــ أريدها أن تقف عند المدى الذى تستطيع تحقيقه .

ــ أنا لا أعرف هذا المدى .

ــ على مهلك اذن .

ــ ولكن لابد أن أحاول .

ــ محاولة جديدة ؟

ــ حين كنت بالخارج وجدتهم يعرفون عن مصر اكثر مما أعرف .

ــ وسائلهم أعظم .

ــ العامل البشرى أهم شىء .

ـــ وبعد ؟

ـــ لم أشأ أن أقول لك شيئا حتى أتأكد من عرضهم .

ـــ هل عرضوا عليك شيئا ؟

ـــ أن أقوم برحلة أكتشف فيها بعض واحات فى صحراء مصر : على أن يقوموا هم بالتكاليف .

ـــ هل التكاليف هى كل ما فكرت فيه ؟

ـــ لقد عودتنى ...

ـــ ألا ترحمنى .. ألأنى عودتك أن تفعل ما تشاء لا ترحمنى ؟

ـــ آمال عريضة أحملها يا أبى .

ـــ حققها يا ابنى .. ولكن اعلم أنك تحققها من نبضات قلبى الخائف ، ومن هذا الشعور البغيض من القلق يستولى على نفسى فيجعلنى أفضل الموت على الحياة . حققها يا ابنى .. حققها .

ـــ لقد أثقلت عليك يا أبى .

ـــ أكثر مما تظن .

ـــ أتدعو لى ؟

ـــ ولا أملك الا أن أدعوا لك .

واليوم يعود . أرجو أن يكون قد حقق آماله جميعا .. لا لا قدر الله .. بل أرجو أن تمتد آماله ما امتدت

به الحياة .. ولكن أرجو فقط أن تكون القاهرة هى مسرح آماله وليست أوربا وليست الصحراء .. لعل عودته الناجحة هذه التى تحيطه بهالات من التكريم والحفاوة والتعظيم .. لعلها تتيح له من قلوب القاهرة ما تجعله يستقر بآماله فيها ، فاننى والله أخشى لو سافر مرة أخرى ألا أراه .. أقصد ألا يرانى بعدها .. عوداً حميداً يا صالح .. مرحبا بك فى حضن أبيك يا صالح .

— ٧ —

تم الزواج كما شاءت أن يتم . كانت قد دبرت لكل عارض ما يهدمه .. كانت تعرف أن الزواج حين يتم بهذه الصورة العنيفة التى رسمتها سيكون قاسيا على نفس نامق وسيجعله نافرا دائما منها ومن الحياة بجانبها ، ولكنها تعلم أن الناس دائما يؤثرون العافية ولا يحبون أن تكون حياتهم نكدة ، وهى تستطيع دائما أن تملأ الحياة مرحا وحبا .

ـــ أغاضب أنت ؟

ـــ لقد رسمت ونجحتِ .

ـــ اسمع : لقد أعطيتك نفسى لأنى أحبك .

ـــ أم لأنى سأكون ناظر الوقف ؟ .

ـــ اذكر جيدا .. هل كنت مرشحا لنظارة الوقف يوم أعطيتك نفسى ؟

ـــ لم أعد أذكر شيئا .

ـــ ولا تلك اللحظات السعيدة ؟

ـــ أدفع ثمنها الآن .

ـــ أزواجك منى هو الثمن الذى تدفعه ؟

ـــ ارغامى على هذا الزواج .

ـــ ولو كان لك الخيار ؟

ـــ لعلنى كنت أختارك .

ـــ أيهما أجمل : أن تختارنى أم أن أختارك ؟

ـــ الرجال يختارون فى العادة .

ـــ يختارون نساء لا يملكن من أنفسهن شيئا ، ويعيشون معهن وهم لا يدرون ان كانت زوجاتهم يحببنهم أم هن يؤدين أدوارهن كزوجات بلا حب ولا عاطفة ولا ذكريات .. أما أنت فقد اختارتك زوجتك من بين جميع الرجال ، واختارتك لنفسك ، لم تكن تعلم يوم وهبتك نفسها أنك ستصبح ناظر أكبر وقف فى البلاد .. وتمسكت بك وتزوجتك .. أيهما أجمل عندك ، أن تختار أنت أم أن أختارك أنا ؟ ..

وسكت .. وبدا عليه شىء من الزهو ، وأطرق قليلا ثم رفع رأسه اليها :

ـــ على أى حال لقد أصبحت حرم ناظر الوقف .

ـــ أكثير هذا على ! ؟

ـــ مطلقا ، فأنت من بيت عريق .

ـــ اذن لماذا تظل تقول هذا ؟ !

ـــ لأن مكانتك تحتم عليك أوضاعا جديدة .

ـــ مثل ماذا ؟

ـــ لا حفلات •• لا خروج •• لا زيارات الا بعلمى ••
لابد أن أعرف فى كل لحظة ماذا تفعلين •

ـــ لك هذا ، ولكن ••

ـــ نعم •

ـــ عليك أن تعوضنى عن هذا السجن •

ـــ لك ما شئت من أموال •

ـــ لا يكفى •

ـــ فماذا تريدين ؟

ـــ أريدك أنت •• أوقات فراغك •

ـــ كلها لك •

ـــ اتفقنا •

ـــ اتفقنا •

ـــ ولكن هناك مشكلة صغيرة •

ـــ ماذا ؟

ـــ ابنك •

ـــ ابنى ؟ !

ـــ سيأتى فى موعد غير مناسب •

ـــ كيف •• أنت حامل ؟

ـــ لعله يأتى قبل الشهر السابع •

ـــ قبل الشهر السابع •

ـــ احسبيها أنت •

ـــ وبعد ؟ !

ـــ فى الوقف مشايخ كثيرون ، وما أسهل أن يصدروا الفتيا •

ـــ اذن فأنت حامل ؟

ـــ سعيد أنت ؟

ـــ ولكنك لم تستعملى هذا السلاح وأنت تنفذين خطة الزواج •

ـــ لو كنت احتجت اليه لاستعملته •

ـــ لا تفكرى فى الأشهر واهتمى بصحتك •

ـــ أنت تستطيع أن تصنع كل شيء •• ألست ناظر الوقف ؟

ـــ اذن فأنت حامل •• اذن فأنت حامل •

وضمها الى صدره ونسى فى حضنها فترات القهر التى كانت السبب فى فرضها عليه •• نسى كل شيء الا أن هذه المرأة المثيرة ستصبح قبل شهور سبعة أم ناظر المستقبل •



وضمها الى صدره ونسى فى حضنها فترات القهر

— ٨ —

لم تكن نديرة تحب أن تبقى فى بيت أمها ، فقد كانت تشعر دائما أنها فى غير مكانها ، فان الهام بعد أن طلقت من زوجها أرادت أن تنتقم لهــذه الفضــيحة التى أطاحت بها وبزوجها • وأرادت أن تشعر أنها امرأة تستطيع أن تجد من يرغب فيها كما استطاع زوجها أن يجد من ترغب فيه • وزواج مثلها ليس عسيرا فهى جميلة وهى ثرية وهى فى ريعان الشباب ، ولم تكن خيانة زوجها لها الا لرغبة الخيانة فى ذاتها • ففى كثير من الأحيان تصبح الخيانة الزوجية هدفا لا مبرر له ، وقد كانت خيانة نامق من هذا النوع • وحين فكرت الهام فى شأن نديرة وماذا يمكن أن يصير اليه أمرها اذا هى تزوجت رجلا آخر ، طمأنت نفسها أن نديرة طفلة ما تزال ، وسوف تجد المشكلة فترة طويلة حتى تصبح مشكلة خليقة بالتفكير والبحث •

لم تمر شهور على فضيحة نامق حتى وجدت الهــام من

يسألها رأيها فى الزواج ، والهام ذات ذكاء بارع تستطيع أن توافق فتصوغ الرفض كأنه موافقة .

— ومن يرضى بزوجة مهجورة ؟

وجملة كهذه من الهام الثرية الجميله ابنه فهمى باشا محسن تستطيع أن تدور بمحافل القاهرة جميعا فى ساعة من سهرة ، وقد استطاعت الجملة فعلا أن تصبح على الشفاه ، واستطاعت أيضا أن تصطاد لها الخطاب من كل راغب فى ثروة أو راغب فى شهرة أو راغب فى جاه أو راغب فى زواج أو راغب فى هذا جميعا . ولأمر غير مفهوم يجتذب الثراء الثراء وخاصة فى الزواج . لعل العروس تحب أن تطمئن أن زوجها لن ينفق من مالها : أولعل الزوج يحب أن يطمئن أنه سيجد فى مال زوجته سنداً ان نفدت ثروته ، أو يجد فى ثروته وثروتها جميعا وسيلة لمزيد من الثروة . على أية حال هى ظاهرة من الظواهر الكونية تحدث ولا تبرير لها ولا تحتاج الى تبرير كجاذبية الأرض أو كرويتها .

وهكذا تم زواج أحمد بك طلعت القاضى بالمحاكم المختلطة وابن طلعت باشا على ، من الهام هانم فهمى ابنة فهمى باشا محسن وطليقة نامق بك ابراهيم أحد المستحقين فى الوقف ، ولم يكن الى ذلك الحين مرشحا لنظارة الوقف ولا كان يخطر ببال أحد أنه سيكون مرشحا فى يوم من الأيام .

وهكذا اطمأنت الهام أنها استطاعت أن تحصل لنفسها

على زوج خير من طليقها هذا العربيد الذى يخونها ولا يحسن حتى أن يخفى خيانته ٠

وأنجبت الهام لزوجها الجديد خديجة ٠ ولم تكن نديرة قد أكملت من عمرها السنوات الثلاث ٠ ورغم أن أحمد كان يحاول دائما أن يكون رقيقا مع نديرة ، الا أن نديرة كانت دائما تحس أنها فى غير مكانها ، وكانت الأم تحس بذلك فكانت تحاول بفيض من العطف أن تمحو من ابنتها هذا الشعور ، ولكن العطف المسكوب فى سعة يزيد نديرة شعورا أنها فى غير مكانها ... فهل مكانى ببيت أبى ؟ .. وماذا يستطيع أبى أن يهيىء لى وهو يعيش وحيدا مشغولا بفراغه ؟ ٠ ان بيت أبى أيضا ليس مكانى .. شعور شب معها تحس به وهى طفلة ٠ ولم يباغتها التفكير فيه حين هيأ لها سنها أن تفكر ٠

وكان أحمد يحس من نديرة بهذا الشعور فلم يكن غريبا منه أن يحبذ زواجها من يسرى ٠ ولم يكن غريبا من الأم أن تقبل الزواج فالشاب مناسب من كافة الوجوه ٠

أما نديرة فقد أحست أنها تستطيع أخيرا أن تكون فى مكانها الطبيعى ٠

وأراد نامق أن يظهر عطفه على ابنته فأصر أن يكون زواجها فى قصره فابنة ناظر الوقف يجب أن يكون زفافها فى قصر ناظر الوقف ٠

وحين رأت الهام نازك لم تحدق فيها فهى تعرف كيف

تكون متكبرة ، ولكنها أحست بشعور عجيب من الرضى ، انها في عمر نديرة أو تكاد .. ان هذه السيدة التي تزوجت طليقي لابد أن تخونه .. ستنتقم لي هذه الفتاة .. لا .. لم تستطع السنون الطويلة أن تمحوا ما أذلني به . طعنني في أنوثتي وفي سمعتي وجعل مني أحدوثة بين الناس .. ان لم تنتقم لي نازك فانى أنا سأنتقم .. بل انى سأنتقم حتى وان انتقمت نازك .. انها حلوة .. وصغيرة .. وحامل في شهورها الأخيرة ولم يمر على زواجها خمسة أشهر . فليصبح ناظر وقف وليصبح باشا وليصبح أعظم انسان في الوجـود . فان هذا جميعه سيجعل الانتقام أعظم روعة : فكلما ارتفع المكان الذى يسقط منه كانت السقطة أبشع وأفظع وأدعى الى شفاء النفس التي تريد أن تنتقم .

كان صالح واقفا في الحفل حائرا ... ان بعضا من هؤلاء كان زميلا له في كلية الحقوق ، ولكن أحدا منهم لم يكن صديقا له .. انه لا يدرى كيف جيء به الى هذا المكان . لقد وجد الدعوة موجهة اليه من نامق باشا ، وطبيعى أن يعرف هو نامق باشا فكل مصرى يعرفه ، ولكن كيف عرفه نامق باشا أو حتى كيف عرفه موظف الوقف المختص بتوجيه الدعوات ؟

انتحى مكانا وراح يجيل عينيه في الحفـل ... انها الصحراء ... انهم جميعا حبات رمل متشابهة ، الايماءة هى

الايماءة ، والابتسامة هي الابتسامة ، والانحناءة هي الانحناءة
•• صحراء من الأرستقراطية مهما تتعمق فيها لن نجد ماء ••
قليلون منهم قليلون اهتموا بالبحث ، وقليل منهم أقل اهتم بالفن ، ولكنهم جميعا يهتمون بالايماءة والابتسامة والانحناءة
••• ولكن هناك شخصيات أخرى •• هؤلاء الذين لم يقف بهم مجد آبائهم من زرع أسمائهم فى أرض مصر لتصبح نباتا مباركا ولتصبح شجرات راسخة فى تاريخها •• أصولهم مصر ، وجذورهم فى مصر ، وفروعهم تستاف هواء مصر ، وتهب أريجها لأرض مصر ولسماء مصر •• هؤلاء هم الواحات فى صحراء الرمال والماء فى الأعماق والاخضوضار المزدهر بالحياة فى الاصفرار الشاحب بالموت من لون الصحراء •• ولا تكون الواحة الا فى الصحراء ، ولا يحلو الماء كما يحلو فى البيد الواسعة للمسافر الصديان يقتله العطش أو يكاد حتى يجد لمعة الماء وظل الشجر •

أريد أن أكون مع هؤلاء •• بينهم •• انهم يعيشون مع حبات الرمل هذه ، ولكن كما تعيش الواحة من الصحراء •

— مرحبا أستاذ صالح •

ويهت صالح وهو يجد نفسه وجها لوجه أمام نامق باشا فى وجهه المتكبر وفى ابتسامته التى تعرف كيف ترسم نفسها على شفتيه ، ويعرف نامق أنه ازاء بغتة ترمى بظلها الكثيف على ضيفه •

ـ عرفت صورتك من الجرائد ، فقد قمت بعمل عظيم فى الصحراء .

ـ يشرفنى ثناء سعادتك يا أفندم .

ـ خريج حقوق ومكتشف حقا ، انك من الشباب الذى تعتز به مصر .

ـ هذا رأى يملؤنى فخرا .

ـ أريدك أن تعمل معى .

ـ أنا يا أفندم ؟

ـ تشرف على قضايا فى الوقف ، وتكون الصلة بيننا وبين الحكومة .

ـ يا أفندم .

ـ تستطيع أن تأتى لمقابلتى غدا فى السابعة مساء . أنا دعوتك ليكون أول يوم تدخل فيه القصر يوم فرح ، ولأتعرف بك أيضا بعد السمعة العريضة التى كسبتها .

ـ دعوتك شرف ... وسأكون عند سعادتك فى الموعد .

ـ شكرا .. تعال أعرفك على موظفى الوقف .. أظنك تعرف بعض المدعوين فان منهم من تخرجوا فى الحقوق مثلك .. تعال فكثيرون هنا يحبون أن يتعرفوا بك .

ويتأبط نامق باشا ذراع صالح المذهول ويجوسان خلال الحفل ، ولا يستطيع صالح أن يجد شيئا يقوله الا :

ــ ألاحظ أن سعادتك تميل الى طراز لويس السادس عشر في الأثاث •

ــ لاحظت ذلك ؟ الواقع أنني أحب هذا الطراز ، كما أنني أشفق على لويس السادس عشر •

ــ ورث الثورة مع العرش •

ــ وكان الذوق في عصره قد بلغ القمة •

ــ فعلا •• فانني أعتقد أن طراز الامبراطورية أو نابليون في الأثاث يوحي بالغلظة والخشونة •

ــ هذا طبيعي •••

ــ وألاحظ أيضا أن سعادتك تعجب باولأبيسون الذي يصور الأشخاص •

ــ فعلا •

ــ أتراك تحبه لأنك تحب الانسان ؟

ــ لا أعرف •

ــ حتى اطارات الجوبلان كلها أشخاص •

ــ انك لم تضع وقتك في أوربا •

ــ ان دراسة الأوبيسون والجوبلان وأنواع الثريات وأنواع الستائر والسجاجيد دراسة لتفكير العصر وثقافته •

ــ قليلون من الذين دخلوا القصر التفتوا الى ما التفت اليــه •

ــ لعل الذين يدخلون يعتبرون رؤيتهــم هذه الأشياء

أمرا طبيعيا ، أما أنا فلم أر مثل هذه الأشياء الا فى اللوفر وفرساى متاحف باريس ولندن .

ـــ أنا أعلم أن أباك ميسور الحال .

ـــ شيخ هو متخرج من الأزهر ، فهو لا يفكر فى تأثيث بيته الا بالشىء النظيف اللائق .

ـــ اننى أزداد اعجابا بك فى كل كلمة تقولها .. تعال ... لا أدرى ما هذه المصادفة ؟ ان أول من سأعرفك به أنت تعرفه طبعا ... أحمد بك طلعت .

كانت عينا فتوح تتبعـــ نامقا وصالحا فى دربة .. لابد أن تعرف كريمة بهذه الصلة الجديدة ..

ويستمر نامق فى حديثه مع صالح :

ـــ طبعا فى أوربا كانت كل الحفلات التى تحضرها يختلط فيها الرجال بالحريم ... كثير من الحفلات هنا تقام على أساس الاختلاط ، لا أعرف ان كنت حضرتها أم لا ... أنا كناظر وقف كان لا يمكن أن يختلط عندى الرجال بالحريم .

ـــ اسمح لى سعادتك أن أنقل اليك ما يقوله الناس .

ـــ بل اسمح لى أنت أن تفعل ذلك معى دائما ... فأهم شىء اخترتك له أننى أعرف أنك رجل مجتمع وتستطيع أن تنقل لى دائما ما يقوله الناس .

ـــ يقولون انك بعد أن صرت ناظر وقف أصبحت انسانا آخر .

ـــ هذا مديح على ما أظن •

ـــ انني يا سيدى أعتبره مديحا عظيما •

ـــ لقد قلت رأيك فى قبل المنظارة بذكاء شديد ••• على كل حال أرجو أن تنقل الى بعد ذلك كل ما تسمعه مديحا كان أم ذما •

ـــ ما أراه من بساطة سعادتك سيشجعنى على الصدق •

ـــ المديح أسمعه كثيرا بحكم السلطة التى أمارسها •

ـــ أعرف ذلك •

ـــ أحب أن أسمع شيئا جديدا •

ـــ اذن فأنت تحب أن تكون عادلا •

ـــ بقدر الطاقة •

ـــ سعادتك تعرف أن العدل ليس سهلا •

ـــ ألم تقل اننى تغيرت ؟

ـــ ولكنى لا أعرف مقدار التغير •

ـــ ستعرفه •• تأكد أنك ستعرفه •

— ٩ —

هل ظن أن الدنيا دانت له ؟ .. هل خيل اليه أننى نسيت ؟ .. أيريد أن تطمئن به الحياة وينعم فى نظارة الوقف وبالزوجة الجديدة وبالوليد القادم ؟ .. اننى أعرفه يحب دائما أن يطمئن .. يحب أن يغامر ولكن فى تكتم ، ويحب أن ينتهب من الملذات كل ما تصل اليه يده ولكن على أن يكون مطمئنا .. كيف ركب هذا التركيب العجيب ؟ لست أدرى ولا يهمنى أن أدرى ، ولكن هو كذلك .. لا يحب القلق ولا يحب أن يتسرب الى نفسه شىء مما يثير الشكوك ... أمطمئن هو لزوجته ؟ .. انى أعلم أنه يحاول أن يطمئن نفسه ما وسعه الجهد ، فهو يبث حولها العيون الرواصد وهو يمنعها من الزيارات وهى لا تلتقى برجل الا الأغوات .. لالا ألماظ ولالا بشير .. أعرف كليهما . كانا لا يحسنان فى الدنيا شيئا ، فلا هما من النساء حتى أكلفهما بما يكلف به النساء من الخدم ، ولا هما من الرجال حتى أعتمد عليهما فيما يقوم به الخدم من الرجال .. ولكنى كنت أحب كلا منهما فهما يحفظان الكثير من الحكايات ، وهما يستطيعان دائما أن ينقلا الى أخبار السيدات الأخريات

.. أتستطيع نازك أن تكتفى بما يرويه لها لالا ألماظ ولالا بشير ؟
.. انها امرأة تحب أن يعجب بها الرجال ولا يمكن أن يعجب بها الرجال وهى فى خدرها لا ترى الى الناس ولا يرى الناس اليها . ولكنها قادرة ... تستطيع أن تصنع ما تشاء ... استطاعت أن تتزوج نامق وليس هذا بالأمر اليسير .. ما كان نامق ليتزوج امرأة اتصل بها الا اذا وقع تحت طائلة ارهاب شديد .

كيف استطاعت نازك أن تدبر هذا الارهاب ...: انهـا قادرة .

وها هى ذى فتاوى المشايخ تتوالى أن الجنين يمكن أن يمكث فى بطن أمه أقل من ستة أشهر ثم يخرج الى الوجود وليدا شرعيا أواجه الحياة فى ثقة واطمئنان . انه ابن العقد الشرعى وليس ابن اللحظة العابرة .. انه تدبيرها .. ولم تنس الأطباء فأبحاثهم عن فترة بقاء الوليد جميعها تؤيد هذه النظرية التى وضع أسسها المشايخ .. أطباء جدد يريدون أن يبدءوا طريقهم الى الحياة بالغنى ، ولكن لا يهم فانهم أطباء على كل حال .. انه تدبيرها .. فلو أن نامق فكر لاستدعى أكبر طبيب وطلب اليه أن ينشر بحثـا يـؤيد هذا الرأى ، وسينسى نامق فى غروره أن الطبيب الكبير لن يقبل فسمعته عنده أعظم من سلطان الباشا الناظر ... لم يلفته الى صغار

الأطباء الا هى ... انها قادرة ... ولكن لا أريد أن أتركها وشأنها ... أريدها أن تجد الطريق حتى تسير فيه ...

ــ أحمد بك .

ــ أفندم الهام هانم ؟

ــ متى تعود نديرة من شهر العسل ؟

ــ أنت أدرى .

ــ أظنها ستعود بعد أسبوع .

ــ ربما .. هل أرسلت اليك خطابا ؟

ــ لقد قالت قبل أن تسافر أن لن تغيب أكثر من شهرين ، فهى تحب أن تقضى الشتاء فى القاهرة .

ــ لعلها تعود بعد أسبوع .

ــ أريد أن أقيم لها حفلا .

ــ ألم يقم لها أبوها فرحا ما زالت القاهرة تتحدث عنه حتى الآن ؟

ــ ولكنى أنا لم أقم لها حفلا .

ــ وما البأس ؟ نقيم لها حفلا .

ــ أريده حفل الموسم .

ــ وليكن حفل الموسم .

ــ أرجو أن تأمر بالاعداد له .

ــ ألا نحدد موعده ؟

ــ بعد عودتها بأسبوع .

ـــ ما اسم الموظف الذى تقول انه عين فى الوقف وأصبح ذا حظوة لدى نامق ؟

ـــ انك لا شك تعرفين اسمه ، فقد نال شهرة واسعة منذ كشوفه فى الصحراء .

ـــ أتحاسبنى على النسيان ؟ .. ما اسمه ؟

ـــ صالح عبد العال .

ـــ آه تذكرته .

ـــ لماذا تسألين ؟

ـــ أريد أن أدعوه .

ـــ ما المناسبة ؟

ـــ بلا مناسبة .

ـــ الهام هانم .. هل لديك مشاريع لا أعرفها ؟

ـــ تستطيع أن تعرفها اذا شئت .

ـــ انى أشاء لا شك .

ـــ تعرف أننى لا أنال نصيبى كاملا فى الوقف ، وأنا أستكبر أن أتحدث الى نامق .

ـــ الهام هانم .. أعتقد أن هناك سببا آخر .

ـــ أليس هذا سببا وجيها ؟

ـــ وجيه حتى أعرف السبب الحقيقى .

ـــ ما دام هذا السبب يكفيك فادعه .

* * *

كانت الثريات تكاد تضيء وحدها حتى ولو لم تصل اليها الكهرباء ، فهى من الكريستال الثقيل الذى يطلقون عليه باجيس . كرات ضخمة من البلور كأنها الماس تخطف الأبصار خطفا .
وكانت البسط من النوع الصينى الذى يكتنف القدم جميعا حتى ليقتلع السائر عليها أقدامه منها اقتلاعا . وكان الأثاث فخما غاية الفخامة فهو جميعه من الأوبيسون الذى صنعته فى فرنسا يد رقيقة من خالص الحرير فى عهود الملكية الباذخة لفرنسا ، وكانت الستائر أيضا من الأوبيسون .

وكان المدعوون جميعا فى أفخر ملابســهم ؛ فالرجال فى ملابس السهرة السوداء ، والنساء فى ذروة افتنانهن بفساتينهن ، والجواهر تتلألأ تحت الثريات كأنها ضياء من الضياء والمعاطف والأوشحة الفرير الزبلين التى تقذف بها أيد ناعمة فى غير اكتراث عند المدخل ، فــكأنما الناس قد صنعوا لهذا الأثاث أو كأنما الأثاث قد صنع لهؤلاء الناس ؛ فالأثاث والآدميون جميعا أجزاء من صورة رائعة الفخامة ولا يكتمل قوامها الا بوضع هذه الأجزاء بعضها الى بعض .

والهام تمر بالمدعوين تحييهم فى عظمة وأدب وفى مران ، والمدعوون يعرفون ما يصنعون فلا يروعهم مما حولهم شىء ولا يبهرهم مما يحيط بهم بذخ أو فخامة ، ونديرة تمر بين القوم وقد وضعت على شفتيها ابتسامة تريدها أن تكون سعيدة فتنجح فى ذلك نجاحا لا بأس به ، ويسرى يسلم على المدعوين

شاردا فعيناه الى المدخل لا تريمان عنه .. أكان لابد لسميحة أن تصر على المجيء ؟ تريد أن ترى بيتى ؟ .. معها حق .. كيف تستطيع أن تراه الا فى حفل كهذا ؟ ماذا أفعل لو أحست نديرة ؟ .. وما الذى يجعلها تحس ؟ .. أيستطيع أخوها أن يتصرف كما يتصرف هؤلاء القوم ؟ .. أتستطيع هى ؟ .. أكان لها أن تجيء ؟ .. وما البأس أن تجيء ؟ .. لا أحد يعرف صلتى بها .. انها ذكية .. ونديرة ذكية .. ابنة ناظر الوقف .. يستطيع أن .. ولماذا ؟ .. ولكن تأخرت سميحة .. ترى ما نصيب نديرة من الوقف ؟ . ان لها نصيبا عن أبيها ونصيبا عن أمها .. وما الفائدة ؟ الوقف لا يباع .. ولكنه يدر ريعا عظيما .. أتفكر فى المال الآن ؟ .. سميحة طلباتها لا تنتهى ..

وصالح واقف ينفض الحفل بعينيه .. أصبح له أصدقاء بين هؤلاء الناس .. فكثير منهم سعى اليه لما له فى الوقف من نفوذ .. انه لا يبحث عن هؤلاء الذين سعوا الى نفوذه ، انه يريد هؤلاء الذين يعجب بهم من أبناء الفلاحين الذين صنعوا أنفسهم بأيديهم وبما قدموا لبلادهم من تضحيات .. هؤلاء الواحات الذين يراح اليهم فى صحراء الأرستقراطية ، وقبل أن يعثر على أحد منهم :

ـــ أهلا صالح بك .

ـــ الهام هانم لا شك ؟

ـــ ذكاؤك لا شك فيه ..

ـ أنا سعيد بلقائك •

ـ اليوم أرجو أن تتمتع بالحفل ، ولكنى أريد أن أراك فى فرصة هادئة فان لى معك حديثا •

ـ أنا دائما تحت أمرك •

ـ استمتع الليلة بالحفل وسوف أرسل اليك قريبا •

ـ تحت أمرك •

وتنصرف عنه الهام وتعود عيناه تجوسان فى الناس ، ولكن عينين أخريين كانتا تنظران اليه دون أن يحس • انه أنيق فى غير تصنع لا تكلف فى ملبسه ، ولكنه يبدو وكأنه يهتم بأناقته خير الاهتمام •• ان قوامه الرشيق يتيح له هذه الطبيعة النادرة من الأناقة البالغة التى تبدو وكأنهـا مخلوقة معه ، لم يبذل فى خلقها جهدا أو تفكيرا •• ويقولون انه يجيد الحديث ، ولا شك أنه يتقن فن الحياة ، فالرجل الذى ينتقل من انجلترا الى الصحراء رجل يتقن فن الحياة •• ما الذى يجعله واقفا وحده هكذا ؟

ـ وحدك ؟

ـ أبحث عن صديق •

ـ ألا تعرف أحدا من هؤلاء ؟

ـ أعرف جميع الرجال تقريبا •

ـ فلماذا أنت وحدك ؟

ـ لأنى أبحث عن صديق •

ـ ألا يعجبك منهم أحد ؟

ـ وأنت ؟

ـ أنا صاحبة البيت ٠

ـ أعرف ذلك ٠

ـ كيف عرفت ؟

ـ لأنك تفضلت ببدء الحديث معى ٠

ـ فقط ؟

ـ ولأنى أعرف أن لالهام هانم ابنة أخـرى غـير نديرة هانم ٠

ـ فأنت لا تحتاج الى أن أقدم نفسى ٠

ـ خديجة هانم لا تحتاج الى تقديم نفسها ؟

ـ ولكنك تسألنى ان كان المدعوون يعجبوننى أم لا ؟

ـ أرى فى وجهك شيئا لا أراه فى وجوه الآخرين ٠

ـ أمديح هذا أم ذم ؟ ٠

ـ ماذا تعتبرينه أنت ؟

ـ ان من تراهم هم صفوة الأرستقراطية المصرية ٠

ـ ومع ذلك أسألك ماذا تعتبرين قولى ؟

ـ يصعب أن نطلق حكما عاما ٠

ـ لا زلت مصرا على السؤال ٠

ـ انك تريدنى أن أذم هؤلاء المدعوين ٠

ـ هل تعتبرين ابداء رأيك فيهم ذما ؟

ـــ أنت تستدرجني للذم •

ـــ ربما •

ـــ يسهل جدا أن أكسب اعجابك بي بذمهم •

ـــ على أن يكون هذا رأيك •

ـــ ان ذمهم ظلم كبير •

ـــ أتعتقدين ذلك ؟

ـــ انهم أبناء بيئتهم •• ورثوا ما لا يعجبك فيهم مع الثروات التي ورثوها •

ـــ ولكنهم عاشوا في مصر عمرهم جميعا فلم يستطيعوا أن يكونوا مصريين أبدا •

ـــ ماذا تقصد بمصريين ؟

ـــ يكفي أن تسمعي لغتهم •

ـــ ألم أقل لك انهم ورثوا بيئتهم ؟

ـــ كانوا يستطيعون على الأقل أن يتعلموا لغة بلادهم • وهل اللغة في رأيك هي دليل المصرية ؟

ـــ أساس من أهم الأسس •

ـــ بعضهم يتكلم العربية •

ـــ أيرضيك هذا ؟

ـــ لا أريد أن أظلمهم •

ـــ ولكنك أنت تجيدين العربية •

ـــ أصدقائي جميعهم من المصريين •

ـــ ويحدثونك بالعربية .

ـــ أجيبهم بالعربية .

ـــ لماذا لم يصنع هؤلاء مثلك ؟

ـــ لا أدرى . ولكننى صممت منذ طفولتى على أن أتقن العربية .

ـــ ونجحت .

ـــ اننى أحفظ شعرا .

ـــ لا أصدق .

ـــ أنت تحب شوقى ؟

ـــ حتى هذا تعرفينه ؟

ـــ اننى أقرأ الصحف بانتظام .

ـــ لماذا ذكرت شوقى ؟

ـــ لأنى أحفظ قصيدة له فى مرقص كهذا الذى نحن فيه .

ـــ المؤكد أن شوقى لم يتصور أن قصائده فى وصف المراقص ستذكر فى أثناء هذه المراقص .

ـــ لك حق ، لقد وصفها لنفسه ولم يصفها ليقرأها الراقصون .

ـــ الراقصون لا يقرءون العربية .

ـــ ولكنى أحفظ القصيدة .

ـــ أى قصائد المراقص تحفظينها ؟



لكنهم عاشوا فى مصر عمرهم جميعا فلم
يستطيعوا أن يكونوا مصريين أبدا!

ـــ جميعها ٠

ـــ جميعها ؟

ـــ حتى :

مـــال واحتجب وادعى الغضب

ليت هاجـرى يشرح السـبب

عتبـــــه رضى ليتــــه عـتب

ـــ ألاحظت فى هذه القصيدة كلمة :

فارســـــــية ؟

ـــ نعم :

فارســــــــية بزت العــــرب

بيــد أنهــــا بعض ما وجــب

ـــ ألاحظت أن كلمة فارسية تكون شطرة كاملة ؟

ـــ ومع ذلك راح حافظ يسخر من القصيدة ٠

ـــ المنافسة بين الفنانين مكسب لمن يستقبلون الفن ٠

ـــ ولكن ليست هذه القصيدة هى أحبها الى ٠

ـــ فأيها اذن ؟

خبــأها كامــن فهى وجود وعدم

طال عليها القدم ناحية فى الهرم

ـــ يخيل الى أنه لم يقل هذه القصيدة الا ليمدح نفسه ٠

ـــ وهو محق •

ـــ أتذكرين هذه الأبيات :

أى فـــتى ذلكــــــــن العـــربى العلم

يشربها ســـاهرا ليلتـــه لم ينـــم

قـــلن تجاهلنه ذلك رب القـــلم

شاعر مصر الذى لو خفى النجم لم

ـــ وانه لكذلك •

ـــ أتحفظ له شعرا ؟

ـــ أحبه لدرجة أنني لا أستطيع أن أحفظه •

ـــ لقد بدأت تستعمل أسلوب أولئك الذين لا تعجب بهم •

ـــ أترين ذلك ؟

ـــ وأرى أنك أيضا بدأت تضع على شفتيك أحيانا ابتسامة كالتى يضعونها على شفاههم •

ـــ أرجو ألا يكون هذا ذما •

ـــ أرجو أن تظل بطبيعتك •

ـــ ربما كانت سيئة •

ـــ لن تكون أسوأ من التكلف •

ـــ التيار حولى شديد •

ـــ ان الذى خاض الصحراء لا يجوز أن يقول هذا •

ـــ أخشى على نفسى .

ـــ أنت محق فى خشيتك .

ـــ ادعى لى أن أظل كما تريدينني أن أكون .

ـــ سأدعو لك أن تظل كما تريد أنت أن تكون .

ـــ ليس المهم الابتسامة والحديث .

ـــ انها مظاهر .

ـــ الذى أخافه هو أن أتغير من الداخل .

ـــ أبدأت تشعر بهذا الخوف ؟

ـــ الوظيفة التى أشغلها وثقة الباشا فى تجعلنى فى قلق دائم أن أفقد كل هذا فى لحظة .

ـــ بماذا كسبت ثقته ؟

ـــ أقول له الحق .

ـــ فقل له الحق دائما .

ـــ ان أمثاله يتحملون الحق مرة بين عشر مرات من النفاق .

ـــ فماذا أنت صانع ؟

ـــ ألم أقل انى خائف ؟

ـــ أتنوى أن تنافق !

ـــ انى خائف .



حين دخلت سميحه الحفل التقطتها عينا يسرى فسارع اليها ، وكانت اللحظات التى مرت بها قبل أن يصل اليهـا عصيبة ، فقد هالها ما ترى ووجف قلبها وتسمرت مكانها تبحث عن يسرى ، فقد خيل اليها أنها تغرق فى بحور من الفخامة والنور لم تتعودها • نظرت الى أخيها فوجدته فاغرا فاه مذهولا فازداد اضطرابها ولم تجد شيئا تفعله الا أن تنظر الى أخيها •

ـ اقفل بوزك •

وانتبه فتحى الى نفسه وأقفل فمه ، ولكن التعبير الذى فى عينيه لم يستطع التغلب عليه • لحظات مـروعة ومخيفة ، وأدركهما يسرى :

ـ أهلا •

ـ الحقنا •

ـ اثبتى •

ـ أنا لا أعرف أحدا هنا •

ـ الحمد لله •

ـ ماذا أفعل ؟

ـ تعالى أولا أقدمك الى نديرة •

ـ ماذا ستقول لها ؟

ـ تعالى •

***

ـــ فتحى بك فاضل من رجال الأعمال ، والسيدة أخته سميحة هانم فاضل .

ونظرت اليهما نديرة نظره عميقه ولكنها كافية لأن تعرف أنهما عربيان عن هذا الوسط جميعه . ولكنها لم تشك فى شئ . فزوجها يستطيع أن يعرف فى الحياة العامة أناسا من طبقات مختلفة .

ـــ أهلا وسهلا .. شرفتم .. تفضلوا .

— ١٠ —

هن يقبلن لزيارتى وبقدمن الاجلال والاحترام •• سيدات معروفات بذواتهن لا يتغيرن ، حديثهن معاد لو كان طليا لفقد طلاوته : فما الخطب وهو من أول أمره حديث ثقيل لا رواء فيه ولا جاذبية ؟ وهو يأبى أن أتــرك القصر إلا لزيارات يعرفها ، وهو حريص على أن يعرفها ، ثم هو حريص بعد ذلك على أن يتأكد منها بطريقة أو بأخرى • فالسائق من القصر ، ولالا ألماظ ولالا بشير رقيبان لا تفتر لهما همة ولا يهن لهما نشاط ••• وماذا يصنعان ان لم يرقبا ؟ •• لقد عرفا منذ وقت طويل أن الوظيفة الوحيدة التى يستطيعان أن يقوما بها هى المراقبة والحديث عن الغير ، وهو أيضا وليد المراقبة •

لقد نفذ نامق اتفاقه ومن أدرانى أنه نفذه ؟ أننى لا أستطيع أن أفرض عليه من العيون مثلما يفرض •• كيف أعرف أنه حين يذهب الى الاسكندرية يذهب للعمل وحده ؟ ان قصره هنالك على البحر يستطيع أن يستقبل فيه من يشاء ، وأنا هنا أطمئن نفسى أنه نفذ اتفاقه •

كيف أستطيع أن أبث حوله العيون مثلما يبثها حولي ؟..
ان الكوة الوحيدة التي أطل منها على العالم الخارجي هي كريمة ، وهو لا يجسر أن يقصيها عني حتى لا تفشي من سري ما يريد له أن يظل سرا .

أين ذلك الهمس الأثيري الذي كان ينسيع في أرجاء المكان حين أطل عليه ؟ .. رءوس النساء تتمايل ، وعيون الرجال تثبت ، ويتهامس الجميع ، ويشعر المكان أن شيئا جديدا حدث فيه .. وكان دائما جديداً .. هذه النشوة التي كنت أحس بها مزيجا من الزهو والفرح والاعجاب بنفسي والرضا عن الناس .. كنت أحس أنهم يقبلونني بعيونهم ، وكنت أحب أن أرد لهم هذه القبلات .. وكنت أحاول بعيني أن أفعل ....

طال الأمد على هذا جميعه .. وكان لابد للأمد أن يطول ... تزوجت من ناظر الوقف .. وجاء نادر . لا يمكن أن أذهب الى الحفلات ونادر في طريقه الى المجيء .. وقبل أن يظهر في الطريق كان هناك هذا الاتفاق بيني وبين نامق ألا خروج ، وكان لابد من الطاعة أو من التظاهر بالطاعة في أول الأمر . فقد كان نامق طول هذه الفترة لا يستقر على حال ... فهو حينا لطيف يعاملني برقة ، وهو حينا خشن أحس القلق والخوف في عينيه .. ليس هذا غريبا على الرجال مع المرأة التي تقدم نفسها قبل الزواج .. انه دائما يخاف ويرغم الخوف أن يستكين في البعيد من نفسه ، ولكن الخوف لا يزول

أبدا • حين جاء نادر كان يتفرس فيه •• يريد أن يرى نفسه •• فهو يبتسم حينا ويعبس حينا ويتفرس •• لم يعبأ بالهمس فى البيوت فلم يكن الهمس ليرقى الى أذنيه •• حاول صالح أن يشير ولكنه زجره فى عنف فأمسك ، لوى الحديث الى المديح لى والاعلاء من شأنى والاشادة بنقاء سمعتى وعراقة محتدى .. ان نامق كثير الحديث عن صالح .. يبدو أن صالح هذا ذكى يعرف كيف يرضيه ويعرف كيف يبدو صريحا كلما كانت الصراحة حبيبة الى نفس نامق . أريد أن أعرف هذا الصالح .. لقد جعلنى نامق أفكر فيه كثيرا •• كريمة رأته •• انها أيضا بحديثها العابر جعلتنى أفكر فيه •• على أى حال كان هو الوحيد الذى استطاع أن يرفع الهمس الى أذن نامق ، وكان هو الوحيد الذى يستطيع أن يفعل ذلك فهو يعرف كيف يدور بالحديث بعد ذلك •

***

ـــ ألف مبروك يا سعادة الباشا •

ـــ بارك الله فيك يا صالح •

ـــ كم كنت أرجو أن تكون هذه التهنئة خالصة •

ـــ ولماذا لا تكون خالصة ؟

ـــ يهمسون •

ـــ اياك أن تذكر همسهم •• للجرأة حدود •

ـــ ولكن سمعة الهانم وعراقة أصلها أخرست الألسنة الهامسة ٠

ـــ فلم يكن هناك ما يدعو الى الحديث عنها ٠

ـــ ألم تطلب منى أن أنقل كل شىء اليك ؟

ـــ عليك أن تختار ما تنقله ٠

ـــ فعلا على أن أختار ما أنقله ٠

ـــ أهذا أنا الذى يتحدث ٠٠ لقد قلت لها أننى أخاف على نفسى ، وقد كنت محقا أن أخاف ٠٠

★ ★ ★

يظن صالح نفسه صريحا ٠٠ أريد أن أراه ٠٠٠ وبعد هل أظل حبيسة هذا الاتفاق بينى وبين نامق ؟ ٠ والى متى ؟ ٠٠

ـــ كريمة أهلا ٠٠ يومان لا أراك ٠

ـــ منيرة كانت متعبة ٠

ـــ بعد الشر ، مالها ؟

ـــ أمراض الأطفال لا تنتهى ٠

ـــ نادر الحمد لله ٠

ـــ عينى عليه باردة ٠

ـــ ماذا يقول الناس ؟

ـــ وماذا يمكن أن يقولوا بعد فتاوى المشايخ والأطباء ؟

ـــ هذا الموضوع انتهى اذن ٠

ـــ وظهر موضوع آخر •

ـــ خير ؟

ـــ ترارين ولا تزورين •

ـــ وماذا فى هذا ؟

ـــ بعضهم يقول تكبر •

ـــ والآخرون ؟

ـــ يقولون أوامر •

ـــ وما رأيك ؟

ـــ فليقولوا ما يشاءون •

ـــ أنتركهم يقولون •

ـــ وأنت ما يهمك ؟

ـــ الحقيقة يهمنى •

ـــ كلامهم ؟

ـــ لا ، ولكن هذا الحبس •

ـــ أتسمينه حبسا ؟

ـــ فماذا تسمينه أنت ؟

ـــ انه يسمح لك بالخروج •

ـــ بعلمه •

ـــ كل الرجال كذلك •

ـــ انه يسافر كثيرا •• الآن مثلا هو مسافر منذ أسبوع ولن يعود الا بعد أسبوع ، وأضطر أنا أن أنتظر مجيئه ،

والاذن بالخروج لا أحصل عليه الا بعد تقديم الأسباب والحيثيات •

ــ تتكلمين مثل فتوح •

ــ كيف هو ؟

ــ بخير •• لقد أوصانى أن أطلب منك شيئا •

ــ خير ؟

ــ وظيفة وكيل مديرية الشرقية خالية •

ــ ويريد أن يكون وكيل المديرية ؟

ــ اذا أوصى به الباشا يكون •

ــ وتذهبين معه ؟

ــ انه مستقبله •

ــ أليست هناك مديرية قريبة ؟

ــ الجيزة •

ــ وتبقين بالقاهرة ؟

ــ أبقى طبعا •

ــ فلماذا لا يكون وكيل مديرية الجيزة ؟

ــ ليست خالية •

ــ ينقل وكيل مديرية الجيزة الى الشرقية •

ــ يا حبيبتى يا نازك •

ــ اياك أن تفكرى فى تركى •

ــ وهل أستطيع العيش بعيدة عنك ؟

ـــ غبت عنى يومين •

ـــ وسأغيب باكرا أيضا •

ـــ لماذا ؟

ـــ عندى ناس •

ـــ ناس •• من هم ؟

ـــ أخاف أن أذكرهم تزعلى •

ـــ فلماذا دعوتهم ؟

ـــ فتوح •• أنت تعرفين أنه صديق يسرى مختار زوج نديرة •

ـــ أنا لا أكره نديرة ••

ـــ كذا ؟

ـــ أبدا •• ولماذا أكرهها ؟

ـــ نديرة يا ستى وزوجها وأختها خديجة وصالح عبد العال •

ـــ صالح عبد العال ؟

ـــ نعم ما الغرابة ؟ انه صديقهم جميعا •

ـــ كريمة •• اسمعى •

ـــ ماذا ؟

ـــ ما رأيك لو •• ؟

ـــ اياك •

ـ لا شأن لك .

ـ اياك .. أنا لا شأن لى ؟

ـ لا شأن لك .

***

اذن فهو مهتم بخديجة .. منذ دخلنا لا يكلم الا خديجة .. طبعا قدم لى كل ما يستطيع من احترام واجلال ولكنه لم يحاول أن يتقرب منى أو يتحدث الى .. لقد لمحت فى عينيه ومضة خوف .. لا شك أنه يعرف أننى هنا بطريقة غير رسمية .. هذا الغبى .. أيظن أن هذه الزيارة ستخفى عن نامق ؟ .. فماذا يفعل لالا ألمظ أو ماذا يفعل لالا بشير ؟ .. انه سيعرف .. ولماذا لا يعرف ؟ .. كان لابد لى أن أحطم هذا السجن وانه من المستحيل أن يتحطم ان لم أقم بخطوة جريئة كهذه التى أقوم بها الآن .. ولكن أين هذا السحر الذى كنت أشيمه حين أدخل الى الحفلات ؟ .. لقد أصبح نوعا جديدا من الأجواء ، وهو جميل أيضا .. فيه احترام كبير واجلال .. أهو لى أم هو لزوجى ؟ .. التساؤل لا يحتاج الى اجابة . ولكن ما البأس ؟ ما الفرق بينى وبين زوجى ؟ .. ماذا سيفعل حين يعرف ؟



ـــ ما رأيك فى اداره الوقف يا يسرى ؟

ـــ أعتقد أن نامق باشا موفق •

ـــ موفق ؟ ! اذن أنت لا تعرف شيئا •

ـــ كيف ؟

ـــ ان المستحقين يكادون يموتون من الغيظ •

ـــ ألا ينالون حقوقهم ؟

ـــ لابد أن يعرفوا حقوقهم أولا حتى يعرفوا ان كانوا ينالونها أم لا •

ـــ لاحظ الهانم يا يسرى •

ـــ ألا ترانى أهمس ؟

★ ★ ★

ـــ اننى سعيدة لأنى رأيتك يا نديرة •

ـــ اننى أنا السعيدة يا نازك هانم ••• فأنا أسمع عنك كثيرا •

ـــ لا تصدقى كل ما تسمعينه •

ـــ اننى أصدق المتحدث المحايد •

ـــ هل أنت متأكدة من حياده ؟

ـــ الحديث دائما ينبىء عن حياد المتحدث أو تحيزه •

ـــ ولعل هذا المتحدث لا يذكرنى بشر ؟

ـــ ان هذه الأحاديث هى التى جعلتنى سعيدة بلقائك •

ــ أرجو أن أكون عند حسن ظنك •

ــ ان الطريقة التى قابلتنى بها وحدها تكفى لتدل على ذكائك وسعة أفقك ••

ــ وأنت هل أنت سعيدة مع يسرى ؟

ــ أيهمك حقا أن تعرفى ؟

ــ اننى أعتبرك مثل نادر ابنى •

فارق السن بيننا لا يسمح بهذا •

ــ أشكر لك هذه المجاملة •• ولكنى زوجة أبيك •• فأنت عندى مثل نادر •

ــ اننى أحب أن أكون كذلك •

ــ لقد هربت من الاجابة •

ــ بل نسيت السؤال •

ــ أعتقد أنك تذكرت السؤال ••

ــ أنت مصممة على معرفته ؟

ــ أصبحت الآن غير مصممة •

ــ عرفت الاجابة اذن ؟

ــ لو كنت سعيدة السعادة التى أتمناها ما تهربت •

★★★

ــ ألم أقل لك اننى أخشى على نفسى ؟

ــ هل تحققت خشيتك ؟

ــ بدأت تتحقق •

ـــ لابد أن نتماسك •

ـــ أنكسر •

ـــ وان لم نتماسك تتكسر أيضا •

ـــ ولكنى سأظل أحيا •

ـــ الكل يحيا •

ـــ أنت لا تدرين •

ـــ مهما تكن حياتك الآن باهرة فى عينيك فهى لا تساوى أن تتكسر •

ـــ ان بعدى عن هذه الحياة تحطيم •

ـــ يخيل اليك ••

ـــ بل يخيل اليك أنت لأنك لا تعرفين •

ـــ أرجو أن تظل كما أنت •

ـــ ما رأيك لو تقدمت لخطبتك •

★ ★ ★

وعندما عاد نامق من سفره :

ـــ نازك هانم أنت ممنوعة من الخروج تماما •

ـــ سجن هو ؟

ـــ لا مناقشة • ربى ابنك ولا خروج •

وطنت فى أذنها ربى ابنك •• اذن فهذا هو ما تريد ••• اذن سأربيه •••

— ١١ —

لم تعد تستطيع أن تخرج ، بل أصبحت اقامتها فى البيت اقامة دائمة لا يقطعها شىء الا الملالة .. أما هو فقد أصدر أمره واعتبره شيئا طبيعيا لا يحتاج الى مناقشة ، وظلت معاملته لها بعد ذلك كما هى لا تغير فيها . فان حاولت يوما أن تناقش هذا الأمر قطع الحديث فى حسم :

ـــ لا مناقشة فى هذا .

ثم يعود الى ما كان فيه من حديث . وتزداد هى غيظا وتوشك أن تنفجر ، ولكنه هو يتظاهر بأنه لا يلحظ من شأنها شأنا ويتحدث .. يتحدث فى كل شىء الا هذا الذى تريد هى أن تتحدث فيه لتفك الأمر الذى ألقى عليها . وقد حاولت بشتى طرق .. حاولت بكل ما وهبته من ذكاء الأنثى وجمالها ودلالها ، ولكنه كان صارما فى أمره لا يقبل عنه حولا أو منصرفا .

وفى هذه المحاولات منها مرت سنوات ثلاث فلم تجـد السنون ولا الحيلة . وانما نتج عن هذه السنين وعن هذه الحيلة شىء آخر هو نادرة .. حملت فى هذه المرة حملا شرعيا لا شك فى شرعيته من الناحية الفقهية للشرع ، ولكنه حمل

غيرمشروع لأنها كانت قد كرهت نامقا كرها استقر في أعماق نفسها ٠

فهي ان تكن قد وهبت له نفسها في نادر هبة المحبة او هبة المعجبة أو هبة المستهترة ، فانها وهبته نفسها في نادرة هبة الزوجة التي لا تملك الا أن تهب نفسها وهي كارهة .. وكانت على هذا الكره تنتهز فرصة ميله لها فتلاطف وتتخاضع وتبدي له كل ما تستطيع امرأة فارهة الجمال متفجرة الأنوثة أن تبدي ، فكان يتقبل منها ما تبديه وكأنه حق طبيعي لا يستحق معه أن يفكر في مشاعر هذه المرأة التي ارتبط مصيره بها ، فقد كان زواجه منها في أول أمره زواجا خائفا تغشيه الشكوك بل يحيط به الهلع ، فحين حطمت أوامره ألا تخرج الا باذن منه وجد نفسه مضطرا أن يمنعها من الخروج منعا مطلقا ولا يعبأ بما قد يقوله الناس ٠ فلئن يقال عنه قاس لا يعرف الرحمة خير من أن يقال عنه مغفل لا يدري ما يجري وراء ظهره ٠ كان لكل من نامق ونازك منطقه ٠ وهما منطقان من شأنهما أن يتصادما ولا سبيل لهما أن يساير أحدهما الآخر ٠

كرهته ولم تستطع أن تظهر هذا الكره ، وقد كان هو في زهوة مركزه لا يتصور أن امرأته تكرهه ٠

وكان لابد لهذا الكره أن يتفجر في مكان ما ... وقد تفجر ٠

عكفت على نادر تحيطه بكل نفسها فما كان لها الا نادر ، وقد أرادت عن عمد أن يحس أن الحياة كلها هى أمه ولا حياه له الا هى •• عن عمد أحاطت به لتفصله عن أبيه ، وعن فراغ أحاطت به لأنها أصبحت ولا شاغل لها الا هو ، حتى أخته لم تنل من رعايتها الا أهون نصيب ، فان نادرة لن تصبح ناظرة للوقف ، ونادر سيصبح ناظرا للوقف ، فنادر هو كل شيء فى حياتها •• أو هو حياتها وهو مستقبلها •

تمر سنتان مثلما مرت السنوات الثلاث.ويصبح نادر فى السن التى لابد معها أن يبدأ تعليمه •

ويصدر نامق أمره الى صالح أن يتولى الاشراف على تعليم نادر •

وتحس نازك أن شخصا آخر سيشركها فى نادر ولكنها لا تستطيع أن تصنع شيئا ، الا أنها عزمت فى دخيلة نفسها أن تلقى هذا الانسان الذى سيشاركها ابنها مهما يكن الثمن •• ولماذا يكون هناك ثمن ؟ •• انها ستدبر الأمر •• انها فرصة رائعة لتلقاه •• وستلقاه •

★ ★ ★

كان ضمن موظفى الوقف رئيس حسابات كان يعمل مدرسا للحساب بمدارس القرير ثم أحيل الى المعاش ، وكان صالح يثق فيه فعهد اليه أن يكون مدرس الحساب لنادر •

ـــ هل هناك ما يمنع أن أحضر ابنى يأخذ معه الدرس ويتعرف به ؟

ـــ اسأل الباشا .

* * *

ـــ لقد عهدت للأستاذ ميخائيل أن يدرس الحساب لنادر بك .

ـــ فكرة لا بأس بها ، ولا تبخل عليه فى المكافأة .

ـــ يريد أن يحضر ابنه ليأخذ الدرس مع نادر بك ويتعرف به .

ـــ وما البأس ؟ ان نادرا لا يكاد يعرف الا أقاربه .

★ ★ ★

ويجتمع شمل نادر ونعيم .

ويختار ميخائيل باشراف من صالح المدرسين الآخرين .

وتمضى الدروس فى طريقها . كان نامق يريد لابنه أن يكون مثقفا لا متعلما ، فكان كثيرا ما يسأل صالحا عن سير الدروس ، وكان من الطبيعى أن يقول المدرسون جميعا ان نادر نابغة عصره ، فما كان يمكن لابن ناظر الوقف الا أن يكون نابغة عصره .

* ★ *

تطلب نازك تليفون صالح فى القصر ، وما تكاد تقول له اسمها حتى يتولاه الهلع :

ـــ لحظه يا هانم من فضلك .

ويهرع الى الأبواب يسألها ان كانت تنصت ، ويدور بالحجرة يتلمس الجدران ، حتى اذا أصاب بعض الاطمئنان :

ـــ تحت أمرك يا هانم .

ـــ أريد أن أسأل عن سير الدروس مع نادر .

ـــ عظيمة يا أفندم .. عظيمة ، الكراريس دائما عندى وأراجع عليها يوميا .

ـــ أنا لا يكفينى هذا .. أريد أن أرى كراريسه .

ـــ أرسلها يا أفندم .

ـــ بل أريد أن أراك وهى معك لأناقشك فى شأنها .

ـــ يا أفندم .

ـــ هذا خير لك .

ـــ أفندم ؟

ـــ ألم تسمع ؟

ـــ بل سمعت تماما .

ـــ اذن ؟

ـــ أنا تحت أمرك .

ـــ وخل خديجة تزورنى .. انى أحب أن أراها .

ـــ أمرك يا أفندم .

ـــ حين أجد الوقت مناسبا سأطلبك وأحدد مكان الزيارة وموعدها .

ـــ داخل السراى يا أفندم ؟

ـــ أنت تعرف أننى لا أخرج •

ـــ أتقدرين خطورة هذا يا أفندم ؟

ـــ مستقبل ابنى أهم من أى خطورة •

ـــ أليس هناك طريقة أخرى ؟

ـــ لو كانت هناك ما لجأت الى هذه •

ـــ أمرك يا أفندم •

لقد أوحى لها نامق دون أن يدرى بشخص تستطيع أن تلقاه غير هذه الوجوه التى تعودت أن تزورها ، والتى سئمتها ولم تعد تطيق أن تنظر اليها ••• وقد هيأت الحجه أمام صالح ولا يهمها ان كان سيصدق هذه الحجة فى نفسه أم سيرفضها •• لقد أحست أنها ان لم تتصل بغير هؤلاء اللواتى فرضن عليها ستجن ، ولم تكن تحب أن تجب ••

★ ★ ★

ـــ فى كل يوم تقول هذا •

ـــ فى كل يوم أتحول من الشخص الذى تمنيت أن أكونه الى شخص آخر كنت دائما أخشى أن أكونه •

ـــ لماذا لا تقدم استقالتك ؟

ـــ ارتبط اسمى بالوقف •

ـــ تستطيع أن تعمل فى أى مكان آخر •

ـــ نامق لن يسمح لى أن أعمل ونفوذه ضخم •

ـــ لن تموت من الجوع •

ـــ لم أستطع أن أفعل هذا وأنا شاب فى أول الطريق • كيف أستطيع الآن أن أفعله بعد أصبحت فى هذه المكانة من الموقف ؟

ـــ لعل هذه المكانة تهيىء لك مكانا تجد نفسك فيه مرتاح الضمير •

ـــ بل ان هذه المكانة ستقفل الأبواب فى وجهى •

ـــ لن تموت من الجوع •

ـــ وأولادى ؟ •• ما مصير عزة وأيمن ؟ •

ـــ لن تموت من الجوع •

ـــ أخاف من الخوف ••• القلق على مصيرنا يرعبنى •

ـــ اذن لا تشك •

ـــ اسمحى لى أن أشكو على الأقل •

ـــ ان نفسى تتقطع من شكواك •

ـــ وأنا نفسى تتمزق مما أصنعه •

ـــ النفاق •

ـــ النفاق أصبح طبيعة الآن •

ـــ أهناك ما هو أدهى ؟

ـــ لماذا لا تزورين نازك هانم •

ـــ تشكو ولا تفصح •

ـــ خديجة ، اننى أشكو اليك لأننى لا أستطيع أن أشكو الا اليك .. أما أن أفصح فهذا لا يهم ... لا يهمك مطلقا أن تعرفى التفاصيل ..

أتعـــرفين صورة دوريان جراى .. اننى أراها أمامى دائما . أرى نفسى دائما تزداد قبحا وقتامة .. أصبحت نفسى كريهة أمام نفسى ، وأجد نفسى أنزلق ، وأعرف أننى أستطيع أن أتوقف ولكنى أسير وأنزلق . وأعرف أننا لن نموت من الجوع ولكننى لا أملك الشجاعة .. الشىء الوحيد الذى أستطيعه هو أن أشكو اليك .

ـــ هذه الشكوى المبهمة المليئة بالأحاجى والغموض .

ـــ لعلنى أرتاح .

ـــ وهل أنت مرتاح الآن ؟

ـــ لماذا لا تزورين نازك هانم .

— ١٢ —

وزارت خديجة نازك وصحبت معها طفليها ، ولعب الطفلان مع نادرة • واستأذنت خديجة أن تصحب الأطفال وتخرج بهم فسمحت نازك بذلك ، وخرج الأطفال جميعا صحبة ومعهم نعيم الذى أصبح ملازما لنادر •

وجالت خديجة بصحبتها فى مجالى القاهرة ، ثم ذهبت بهم جميعا الى بيت أمها •

وفرحت الهام بهذه الزيارة غير المتوقعة فرحا أخذ عليها مجامع نفسها ، فقد كانت تريد أن تتوسل بأى طريقة تصلها ببيت نامق ، ولم تكن دعوتها لصالح وقبولها أن يتزوج خديجة الا وسيلة ترجوها ليتم هذا الاتصال •

كانت تريد نادرا بالذات أن يحبهـا •• كانت تريده لأنه الشخص الوحيد الذى يمكن أن يتصل بها بلا حرج • فأخته نديرة صلة لا بأس بها ، وهو لا يعنيه فى شىء أن الهام كانت زوجة أبيه ، بل هو حتى لا يفهم هذه الصلات ولا يهتم بها •

سارعت الهام الى سائق سيارتها وأمرته أن يسـارع فيشترى بندقية رش ، ووعدته بمكافأة ان هو لم يتأخر •

وسرعان ما عاد السائق ، وأهدت الهام البندقية لنادر .
ـ كلما جئتنى ستجد هدية .
وأوشك نادر أن يجن من الفرح .
لقد استطاعت هذه الزيارة أن تمكن من حب نادر لالهام ، فصار يطالب أمه بعدها أن يزورها . ولم تكن تمانع فى ذلك فهى تستدعى خديجة وتعهد اليها بنادر ونادره . ولا تنسى نعيما ، ويذهبون جميعا الى بيت الهام . وفى كل مرة كان نادر يفوز بهدية ، وفى كل مرة يمرح الأطفال مرحا لا رقابة عليه ، نادر مع نعيم ، ونعيم يحاول أن يداعب نادره ، أما طفلا خديجة عزة وأيمن فهما وحدهما اللذان لا يشعران بشىء . فقد كانا أصغر من أن يفرحا أو يتمتعا .

★ ★ ★

ـ تحت أمرك يا هانم .
ـ فى الساعة الثالثة اليوم .
ـ أنا يا أفندم أنصرف فى الساعة الثانية .
ـ لا تخف ، لقد أخذت خديجة الأولاد وستتغدى عند أمها .
ـ أعرف ذلك يا أفندم .
ـ اذن ؟
ـ ماذا يقول موظفو الوقف ؟

ـــ انصرف فى موعدك وعد الى الحرملك •

ـــ والسائق يا أفندم •

ـــ اذن تشاغل بالعمل حتى الثالثة واصعد الى الحرملك •

ـــ ألا يرانى الخدم ؟

ـــ انك ستذهب الى الجناح الصيفى •

ـــ أمرك •

ـــ وهات الكراريس •

ـــ أمرك •

هل تريد الكراريس حقيقة ؟ •• أهذا موعد يوحى بكراريس ؟ أنا من جهتى لا أمانع ولكن •• أى لكن ؟ • هل أملك شيئا فى نفسى ؟ •• حتى هذا لا أملك فيه شيئا •• لقد بعت نفسى جميعا لهذا المكان •• لعلنى يوسف وهى امرأة العزيز ••• ولكنى لست نبيا •• وهى أيضا لا تدعونى لجمال فى خارق • حبيبة ولا تملك فى يدها الا أنا • لن أستطيع أن أصنع ما صنعه يوسف •• انه بما فعل أصبح نبيا وأنا لا أنوى أن أكون نبيا •• انها فتنة طاغية •• ولكن كيف أملك الجرأة •• انها تصغر الباشا بسنوات وسنوات • أنا أقاربها فى السن •• ولكن كيف أملك الجرأة ؟ انها هى التى ستهب لى الجرأة •• بشبابها وشبابى •• أيستطيع شبابى أن يتغلب على هذه الرهبة ؟ •• انها زوجة الباشا •• أأخونه ؟ •••اذا كانت هى تخونه ألا أخونه أنا ؟ وهل لى خيار ؟• أما أن أخونه أو لا

أكون .. وهل لي الخيار ؟ .. وزوجتي ؟ .. أخونها .. انني أخونها . اذا لم أخنها ... ان مصيري ومصيرها ومصير أولادنا الطريق العام اذا أنا لم أخنها . هل أستطيع أن أتوقف ؟ هل أريد أن أتوقف .. هل أملك الجرأة على التوقف ؟ .. وان ملكتها هل أتوقف ؟ .. يبدو أنني أصبحت استطيب ما أصنع .. على أى حال لولا خطورة ما أنا مقدم عليه لكان أمرا لا بأس به في حد ذاته ... ماذا يقول أبي ان عرف ؟ .. بل ماذا يقول اذا عرف كل ما أقوم به من غير ذلك ؟ .. لماذا يعرف الحقيقة ؟ بحسبه أنه سـعيد بمنصـبي . ان الحقيقة التي يعرفها الانسان هي الحقيقة الوحيدة ، وليس هناك بالنسبة اليه حقيقة أخرى . والحقيقة التي يعرفها أبي أنني رجل محترم صاحب حظوة عظيمة لدى نامق باشا ، وهذه الحقيقة كفيلة بأن تجعله سعيدا ، وأنه لسعيد . كل الحقائق الأخرى لا تهمه فهو لا يعرفها ، وان حاول أحد أن يطلعه عليها يكون مجرما يريد أن يحرمه السعادة التي يعيش فيها .

***

وبعد أن ترك نازك راح ينزل السلم في خطـوات حالمة وابتسامة مهمومة تترقرق على شفتيه . وفجأة انتبه الى الكراريس في يده وأصبحت الابتسامة ساخرة وهو يتمتم في صوت يوشك أن يكون مسموعا :

ــ أظن لا داعي للكراريس بعد ذلك .

— ١٢ —

ـــ أنا فى الواقع لا أستحق فى الوقف •

ـــ ولكن زوجتك تستحق •

ـــ هذه مسألة جانبية •

ـــ أنا لا أراها جانبية بالنسبة اليك •

ـــ المهم أنت •

ـــ أنا ؟

ـــ أنت شوكت فهمى بك •

ـــ ما لى ؟

ـــ أنت لا تنال حقك •

ـــ كيف عرفت ؟

ـــ ألا تنال ضعفى ما تناله أختك الهام هانم ؟

ـــ نعم •

ـــ الهام هانم حماتى •

ـــ أعرف ذلك •

ـ وأنا أعرف ما تناله .

ـ ولكن كيف عرفت أنه أقل من حقنا ؟

ـ هذا شأنى .

ـ انك لم تستدعنى اليوم لتقول لى هذا شأنى .

ـ الطريقة التى عرفت بها لا تهمك .

ـ بل لابد أن أكون واثقا .

ـ كن واثقا .

ـ كن واثقا .

ـ كيف عرفت ؟

ـ ان لى عيونا فى الوقف .

ـ من هم ؟

ـ لقد أقسمت ألا أبوح بأسمائهم .

ـ حسنا .. ولكن النصيب الذى نحصل عليه الآن هو كما كنا نحصل عليه دائما .

ـ وهذا وحده دليل كاف .

ـ كيف ؟

ـ هل ثمن المحاصيل هو هو لم يتغير ؟

ـ آه .. فعلا .

ـ لابد أن تنالوا حقوقكم .

ـ نرفع دعوى .

ـ لا تنس أن له الحقوق العشرة .

ــ فعلا من ضمنها الاخراج والادخال •

ــ يخرج سعادتك ويدخل نازك هانم •

ــ يعملها •

ــ فماذا ترانا نفعل ؟

ــ لابد أن نفعل شيئا ان لم يكن من أجلى فمن أجل ابنى حسام •

ــ نقتله ؟

ــ المسألة ليست بهذه السهولة •

ــ كيف ؟

ــ نادر يصبح ناظر الوقف •

ــ نادر ما زال صغيرا •

ــ سنة والأخرى وتصدر فتوى أنه ما دام يستطيع أن يدير أمواله فهو يستطيع أن يدير الوقف •

ــ فى هذه السنة نستطيع نحن أن ندبر أمورنا •

ــ ولكن فكرة القتل نفسها خطيرة •

ــ لدى أصدقاء كانوا يعملون بالحرس واصابتهم لا تخيب •

ــ أتعرف أحدا من هؤلاء ؟ •

ــ أعرف الكثيرين منهم •

ــ اذن فعلينا أن ننتظر قليلا •

ــ ننتظر ؟

ـ طبعا ...

ـ أنت الذى تقول ننتظر ؟

ـ وما الغرابة فى هذا ؟

ـ أناأعرف حاجتك للنقود دائما .

ـ مطالب الحياة كثيرة .

ـ مطالب الحياة أم مطالب سميحة ؟

ـ هس .

ـ مم تخاف ؟ .. لقد كنا نتكلم فى جريمة قتل ولم يتولك الذعر الذى تولاك من ذكر اسم ...

ـ هس .

ـ هس .. هس .

ـ أنسيت أين نحن ؟

ـ فى بيت بنت أختى .

ـ زوجتى .

ـ أتخشى أن تسمعنى وأنا أذكر .. هس .. ولا تخشى أن تسمعنا ونحن نتآمر على قتل أبيها ؟

ـ قد تغتفر قتل أبيها ولكن لا تغتفر ..

ـ هس ؟ !

ـ طبعا .

ـ ألا تعرف ؟

ـ تحس .

ـــ حسنا ؛ وماذا تريدنا أن ننتظر ؟

ـــ ننتظر حتى تخلق عداوة بين نامق باشا وشخص آخر فلا تلحق التهمة بنا ٠

وصمت شوكت وحملق ٠

ـــ لم أكن أتصور أنك خطير الى هذا المدى ٠

ـــ المسألة لا تستحق هذه المبالغة ٠

ـــ وكيف ستخلق هذه الخصومة ؟

ـــ هذا شأنى ٠

ـــ مع موظفى الوقف ؟

ـــ مثلا ٠

ـــ صالح ٠

ـــ غير صالح بالمرة ٠

ـــ نعم صالح مرتبط بالباشا ٠

ـــ جدا ٠

ـــ مع ميخائيل ؟

ـــ انه أخاف من خياله ٠

ـــ اذن فمع من ؟

ـــ هذا شأنى ٠

ــ هديتك اليوم ستضعها فى أصغر جيب لك •

ــ صحيح •• ما هى ؟

ــ خذ •

ــ مفتاح •• أين صندوقه ؟

ــ انه صندوق كبير لا أستطيع ادخاله الى البيت •

ــ حقا ؟

ــ تعال •

وسحبت يده الى الشباك ، وفغر فاه غير مصدق •

ــ هذه السيارة ؟

ــ هذه السيارة •

ــ لى أنا ؟

ــ انزل ولف بها لفة وعد لتقول لى رأيك فيها •

وانتهب السلم انتهابا ، وأمسكت الهام بسماعة التليفون وأدارت رقما :

ــ سميحة أنا الهام • ما هذا ؟ لى زمان لم أرك • أين أنت غدا ؟ •• لا بأس •• نتغدى معا •

كانت الاشاعات قد بلغت آذانها عن صلتها بزوج ابنتها ولكنها لم تهتم بهذا ؛ ووطدت علاقتها بها منذ جاءت اليها فى الزياره الأولى . ولم تؤثر هده الاشاعات على هذه العلاقة فسميحة تستطيع أن تجتذب انتباه سيدة فى ذكاء الهام ... والهام كانت تحس بدافع خفى لا تدرى مأتاه أنها ستنتفع يوما بسميحه ... واليوم يتحقق حدسها . ويعود نادر ويقبل الهاما .

ــ ان أبى لم يفكر أن يقدم لى مثل هذه الهدية .

ــ لعله يخشى عليك .

ــ وأنت لا تخشين على ؟

ــ ولهذا لن أجعلك تخرج بها وحدك .

ــ ماذا ؟

ــ ستتركها هنا اليوم وتأتى بعد غد لأكون قد وجدت من يشاركك ركوبها .

ــ لا أريد سائقا .

ــ لو كنت أنوى أن أحضر لك سائقا ما أحضرت لك سيارة .

ــ برافو عليك .

ــ ان السيارة التى تسير بسائق موجودة عندك دائما .

ــ لا شىء يخفى عليك أبدا .

ـ وبعد غد ستعرف الى أى حد أستطيع أن أعرف الأشياء .

* ★ *

وحين جاءت سميحة للغداء استطاعت الهام أن ترتب معها كل شيء .

* ★ *

وحين جاء نادر في موعده قدمت اليه الهام الشخص الذى سيشاركه ركوب السيارة :

ـ الآنسة منال .

غضة كالغصن الرطيب فى عينيها جذوة وخبرة ؛ وفى شفتيها دعوة وابتسامة .

ولم تنس الهام أن تقول :

ـ وهذا مفتاح بيت أستأجرته لكما اذا تعبتما من اللف بالسيارة ، تستطيعان دائما أن تستريحا فيه .

* ★ *

ـ ان أمك تلعب لعبة خطرة .

ـ أعرف .

ـ أترضين عن هذا ؟

ـ انها أمى .

ـــ فان لم تكن أمك ؟

ـــ فهى امرأة تنتقم •

ـــ فى شخص الابن ؟

ـــ الانتقام لا يعرف أين يقع •

ـــ انه الشخص الذى سيصبح ناظر الوقف بعد أبيه •

ـــ ولكنه سيظل ابن أبيه الى أن يصبح ناظرا للوقف •

ـــ قد يدمر هذا الوقف جميعه •

ـــ ولكنه سيظل محبا لأمى •

ـــ كانت تستطيع أن تجعل الأمر أكثر طبيعية •

ـــ دعوة وحفلة وتعرفه ويختار •

ـــ مثلا •

ـــ لفة طويلة •

ـــ خير من اللفة القصيرة •

ـــ ترين هذا ؟

ـــ لعلها خشيت أن يمنعه أبوه من حضور حفلاتها •

ـــ والآن ؟

ـــ الأب لا يعرف على الأقل •

ـــ ولكنى أنا أعرف •

ـــ هل صحا ضميرك الآن ؟

ـــ انه لم يمت تماما •

ـــ ولكنه يستطيع أن ينام حين يريد •

ــ لعله الآن لا يريد أن ينام ٠

ــ بل انك تشعر أنك لم تقدم نصيحة للباشا من زمن بعيد ٠

ــ ربما ٠

ــ ويريد أن توهم نفسك أنك تؤدى واجبك ٠

ــ ربما أيضا ٠

ــ على حساب أمى ٠

ــ انها هى التى وضعت نفسها فى هذا المكان ٠

ــ تستطيع أن تفعل شيئا أحسن من هذا ٠

ــ أقترحى ٠

ــ قدم النصيحة ولا تذكر اسم أمى ٠

ــ نصيحة لا بأس بها ٠

ــ أليس كذلك ؟

* ★ *

ــ وماذا ترى ؟

ــ الرأى دائما لسعادتك ٠

ــ المسألة خطيرة ٠

ــ ليست كما تتصور ، انه الشباب يأخذ مجراه ٠

ــ أنا عندى الحل ٠

ــ هكذا سريعا ؟

ـــ لقد كنت أفكر منذ زمن يعبد أن أرسله الى الخارج ليتعلم .

ـــ فكرة لا بأس بها .

ـــ أعجل بها .

ـــ ولكن السفر للخارج لا يمنعه أن يســير فى نفس الطريق !.

ـــ هذا اذا كان وحده .

ـــ ومن سيكون معه ؟

ـــ أنت .

ـــ أنا !

ـــ أنت .

ـــ وأولادى وزوجتى ؟

ـــ فى رعايتى .

ـــ وهل توافق الهانم على سفره ؟

ـــ اننى آمر ولا يعنينى موافقة أحد .

ـــ أفكر .

ـــ بل تسافر .

ــوأطرق صالح ، ولم يكن محتاجا أن يقول ولم يكن نامق ينتظر منه قولا .. ولكنه مع ذلك أحب أن يشفع أمره :

ـــ أنت تعرف ثقتى فيك .

ـــ أنا تحت أمرك .

ــ وأنت تعرف أن صحتى ساءت فى هذه الأيام الأخيرة •

ــ ليس الى الدرجة التى تتصورها سعادتك •

ــ أنا لست جاهلا ، وأعرف تماما الأمراض التى أتعرض لهـا •

ــ بل أعتقد أن سعادتك تتخوف أكثر من اللازم •

ــ المهم أننى أعهد لك بنادر •• فى الخارج وفى الداخل اذا حصل شىء •

ــ ربنا يطيل عمر سعادتك •

ــ لم أعد صغيرا •

ــ ربنا يطيل عمر سعادتك •

ــ أنا أعرف مشاعرك جيدا •

ــ أرجو ذلك •

ــ نادر أمانه فى عنقك •

ــ ما أثقل الأمانة •• هل أعرف كيف أرعى الأمانة •• اننى أخون هذا الرجل •• ليس أنا الذى أخونه •• انها زوجته تخونه معى وليس أنا الذى يخونه •

* ★ *

ــ أريد أن ألقاك فى الحال •

وراحت تخلع ملابسها فى عنف حتى لتوشك أن تمزقها ••

وتروح وتجيء فى الحجرة كنمرة لا يستقر لها قرار من حبس تعانيه :

ـ نادر وانت مرة واحدة ؟

ـ اهدئى .

ـ كيف ؟

ـ لابد أن تهدئى .

ـ اخلع ملابسك .

ـ فقط اهدئى .

ـ أريد أن أتشفى فيه .. أريد أن أنتقم منه .

ـ لقد كنت تنتقمين منه قبل أن يأمر بسفرنا .

ـ اليوم الأسباب أقوى ، اخلع ملابسك .

* ★ *

ـ ماذا سأفعل ؟

ـ نادر لابد أن يتعلم .

ـ انه يريد أن يحرمنى منه .

ـ نادر كان مرتبطا بك أكثر مما يجب .

ـ اننى أمه .

ـ ولكنك نسيت أن له أبا .

ـ ان أباه نسى أننى انسانة .

ـ ألم تكن له أسباب ؟



اخلع ملابسك .. أريد ان اتشفى فيه .. أريد أن أنتقم منه

ـــ ليس هناك سبب يحرم انسانة من حريتها .

ـــ ومع ذلك استطعت أن تمارسى حريتك .

ـــ لقد أرغمني على ذلك .

ـــ ترى ..

ـــ آكمل .

ـــ لا داعى .

ـــ انني أعرف بقية الجملة .

ـــ فلماذا تريدينني أن أكملها ؟

ـــ لأتأكد .

ـــ قوليها اذن .

ـــ تريد أن تسأل لو كنت حرة هل أختارك أم لا ؟

ـــ هذا هو السؤال . فما الاجابة ؟

ـــ لا أعرف .

ـــ أشكرك .

ـــ أعجبتك الاجابة .

ـــ لأنها صادقة .

ـــ والآن ماذا أفعل ؟

ـــ انتظرى .

ـــ سنوات .

ـــ لا حيلة لنا الا الانتظار .

ـــ خديجة .

ـ ما لها ؟

ـ ستسافر معك .

ـ لا أظن .

ـ هو الذى أمر بهذا .

ـ والأولاد صغار .

ـ بل هو يريدك أن تتفرغ لنادر .

ـ ربما .

ـ أتعرفه نادر ؟

ـ ليس الى الدرجة التى كنت أرجوها .

ـ هو فى هذه الأيام لا يترك الهام .

ـ يجد عندها ما يسره .

ـ وأنا لا أمنعه .

ـ لأنك تريدين منه أن يحبك ولا يحب أحدا مثلك .

ـ ذكاؤك فوق مستوى الشبهات .

ـ هل ينفع مع نادر ؟

ـ اكتب لى .

ـ لا أستطيع .

ـ اكتب لكريمة عن أخبارك وهى ستطلعنى على الخطابات .

* * *

حين وصلت كريمة مع ابنتها منيرة الى القصر صعدتا الى الحريم ، ولكن نادر لقيهما فى الطريق فقد كان يأخذ سمته الى الباب الخارجى . حلوة هذه الفتاة . لا عيب بها الا أنها لا تترك أمها أبداً . أخاف أن أحادثها فتطلق أمها عنى الأقاويل . وأنا لا أريد لهذه الأقاويل أن تنطلق .

ـ أمسكت كريمة بذراع ابنتها وأوشكت أن تقرصها :

ـ سلمى وابتسمى .

ـ يا لأحلامك يا أمى .. انه طائر لا يهدأ له جناح .. طائر لا يستقر به حال .. انه لا يرانى .. لا يعرفنى .. .. لا ينظر الى .. لو نظر لرأى فى عينى الاعجاب به وأكاد أقول الحب له .. ولكن أى شأن له بى ؟ .. اننى لا أمثل فى خاطره أى فكرة . ان عينيه تعبرانني كأنما لا يرانى .

ـ أهلا تنت كريمة .. أهلا منيرة .. من زمان لم أركما .

ـ أنت مشغول الآن يا نادر .

ـ عنك أنت يا تنت كريمة لا أقدر أن أنشغل .

ـ فاسأل عنا يا أخى .

ـ اسمعى : أنا مسافر لندن وليس من المعقول أن أسافر قبل أن أشوفك أنت ومنيرة .

ـ عظيم ... العشاء عندنا بعد باكر .

ـ عظيم : ومن المدعوون ؟

ـ عليك أنت أن تختار .

ـــ أولا تنت الهام •

ـــ أمرك •

ـــ وطبعا اخوتى •

ـــ طبعا •

ـــ ونعيم ؟

ـــ ونعيم •

ـــ وطبعا منيرة •

وتبالغ كريمة فى الضحك ، وتضحك منيرة فى سعادة •

ـــ وبعد ذلك اختارى أنت من تشائين •

ـــ أفكرك أم لست فى حاجة الى التفكير ؟

ـــ لا يمكن أن أنسى •

ويتجه نادر الى السلم ، وتتجه كريمة ومنيرة الى جناح مازك • وحين تستقر بها المقام فى الغرفة الملحقة لغرفة النوم :

ـــ أين الهانم يا لالا ألماظ ؟

ـــ لا أدرى •

ـــ لا تدرى ؟

ـــ والله أنا لا أدرى ولا أحد يدرى •

ـــ هل جننت ؟

ـــ وماله ؟ لقد بلغت السن التى يجب فيها أن أجن •

ـــ يا رجل اعقل وقل لنا أين الهانم •

ـــ أصبحت لها عادة غريبة .

ـــ عارفاها .

ـــ عارفاها ؟

ـــ لقد قلتها لنا عشرين مرة فى السنوات الأخيرة .

ـــ اذن فأنت عارفاها ؟

ـــ تحب أن تنام أحيانا فىالجناح الشتوى والوقت صيف ،

ـــ أنت عارفاها .. أترين هذا الهواء الذى يرد الروح ؟ الجناح الشـــتوى الآن فرن ولكنهـــا تذهب الى هناك فجأة ولا نعرف متى تذهب ، ولكننا نحس بها فقط وهى عائدة .

ـــ ألست حرة ؟

ـــ وهل قلت شيئا ؟

ـــ أنت دائما تتعجب .

ـــ كان لالا بشير الله يرحمه يتعجب معى أيضا .

ـــ كم عمره حين مات ؟

ـــ لا أعرف .. انما هو أصغر منى .

ـــ وأنت كم عمرك ؟

ـــ لا أعرف .. ولكنه قبل أن يموت كان يقول لى ان عندى أكثر من ثمانين سنة .

ـــ اقتربنا من الوصول . متى مات ؟

ـــ كان يلاعب نادر بك بالعجلة ويقلب له عينيه ، ونادر بك يضحك ولالا بشير فرحان الدنيا لا تسعه . ثم نادى

الأستاذ ميخائيل نادر بك للدرس وصعد لالا بشير الى حجرته ولم يغادرها بعد ذلك •

ـــ يعنى من حوالى اثنتى عشرة سنة •

ـــ مثلا ؟

ـــ لالا ألماظ أنت تقترب من المائة •

ـــ وماله ؟ ••

ـــ أخيرا نازك هانم •

ـــ أهلا كريمة ، أهلا منيرة •

ـــ أهلا بك يا تنت •

ـــ ماذا بك ؟

ـــ ألا تعرفين ؟

ـــ كلها سنة أو سنتان ويعود •

ـــ أنت لا تعرفين معنى سفره بالنسبة الى •

ـــ بل أعرفه تماما •

ـــ لا أحد يعرف •

ـــ حتى ولا أنا ؟

ـــ ولا أنت •

ـــ لقد دعوناه على العشاء •

وصمتت نازك فترة ثم قالت فجأة :

ـــ عند عودته •

وصمتت مرة أخرى ثم عادت تقول :

ـــ لابد أن يفعل ما أريد .

وفهمت كريمة ولكنها أرادت أن تبدو وكأنها لم تفهم :

ـــ وما الذى تريدينه ؟

ـــ الذى تريدينه .

ـــ وهل أنت متأكدة من قدرتك ؟

ـــ أنت تعرفين أننى متأكدة .

ونظرت كلتاهما الى منيرة .. يخيل الى أننى أعرف ماذا تريد هاتان السيدتان .. ولعلنى أيضا أريد ، ولكن ليس هكذا يتم ما أريد .. حذار أن تفكرا فى أمرى كأننى غير موجودة .. اننى موجودة ولا أحب أن ينكر أحد وجودى .. اننى موجودة دائما .

* ★ *

ـــ لماذا لم ألحظ منيرة الا اليوم ؟ .. قبل سفرى بأيام .. انها جميلة .. كنت أستطيع أن أخرج معها فى السيارة ... خسارة فات الوقت .

ـــ لماذا ينظر الى هكذا ؟ .. ماذا به ؟ .. ألست أنا منيرة التى يعرفها منذ نحن أطفال ..

— ١٥ —

في لندن انفرد صالح بنادر ، وبدأ فأدرج اسمه في مدرسة نظامية ، واتفق مع مدرسين له في اللغات الأخرى غير الفرنسية ، فقد كانت الأوامر من الباشا تقضي بأن يعود نادر من انجلترا شخصا مثقفا .

وبدأت الدراسة ، ووجد نادر نفسه لأول مرة مثله مثل التلاميذ الآخرين ينطبق عليه ما ينطبق عليهم من أوامر ، وضاق بهذه الحياة الجديدة وأراد أن يتمرد ، ولكن وطأة صالح عليه كانت شديدة ، ولولا وجود نعيم معه لأصبحت حياته قتامة لا يمكن احتمالها .

واضطر نادر أن ينتظم في الدراسة ، وأن يذهب الى المدرسة في مواقيتها ، وأن يتلقى دروسه في البيت في انتظام . وكان صالح قد حدد مواعيد للترويح عن نادر فكان يصحبه هو ونعيم الى مسارح لندن مرتئيا أن في هذا الترويح نوعا من الثقافة أيضا . ولم يكن نادر غبيا فقد استطاع أن يستفيد من المدرسة ومن الدروس ، واستطاع أن يتقن الفرنسية التي

كان يعرفها اتقانا تاما الى جانب الانجليزية ، كما استطاع أن يتكلم الابطالية أيضا .

وكانت خطابات صالح الى الباشا تطمئنه ، وكان الباشا سعيدا بهذه الأنباء .

ولم ينس صالح أن يرسل خطابات منتظمة الى كريمة ، لتبلغ نازك عن كل صغيرة وكبيرة فى حياة نادر وحياته هو أيضا .

وكانت الأنباء التى تصله من زوجته تطمئنه أن الباشا وفى بوعده ، فهو يرعى أسرته رعاية كاملة ، ولكنه مع ذلك مشوق الى زوجته والى هذه الأحاديث التى كانت تجرى بينهما والتى كان يجد فيها راحته ، فقد كانت هذه الأحاديث هى الآنة الوحيدة التى يستطيع أن يطلقا فى غير خوف ولا قلق .

وكان مشوقا الى ابنه والى ابنته ، ولم يكن يجد أحدا يستطيع أن يقول له انه مشوق الى بيته .

عاد الى أصدقائه القدامى وكان يقضى معهم الأوقات التى يقضيها نادر فى الدراسة ، ولكن الفراغ مع ذلك كان يحيط به من كل جانب .

ومرت الأيام ، وكانت توافيهم الاجازات الدراسية فيهيىء صالح لثلاثتهم أماكن مختلفة يقضون فيها أيام الاجازة .

ولكن نادر كان يحس دائما أنه فى سجن ، وأن القيد حوله بجميما •

واحس نعيم ما يختلج فى نفس نادر :

ــ وبعد ؟

ــ انها أوامر أبى •

ــ ومن ينفذها ؟

ــ صالح •

ــ وهل تعتقد أننى أجهل هذه الاجابة •

ــ اذن فماذا تريد أن تقول ؟



ــ صالح بك •

ــ نعم •

ــ بعد أيام ستكون اجازة رأس السنة • وقد أعددت لك برنامجا رائعا •

ــ بل أريد أن أقضيها وحدى •

ــ وحدك ؟

ــ أنا ونعيم •

ــ وأنا ؟

ــ تستطيع أن تقضيها وحدك أنت أيضا •

ــ وحدى ؟

ـــ تستمتع بها •

ـــ ومن أدراك أنني لا أستمتع باجازتي معك ؟

ـــ انك معي تعمل ، واني أشفق عليك من العمل الدائم •

ـــ ولكنني أستمتع بصحبتك •

ـــ وأنا أيضا ، الا أنني أريد أن أحس بحريتي •

ـــ وهل أمنعك عن شيء ؟

ـــ عن كل شيء •

ـــ لا تنس أنني ••

ـــ أعرف أنك تنفذ أوامر أبي •

ـــ فماذا تريد اذن ؟

ـــ أن تنسى هذه الأوامر على الأقل في أيام الاجازات •

ـــ ضميري ••

ـــ لابد أن يسمح •

ـــ أستطيع أن أسافر وتصنع أنت ما تشاء •

ـــ بل لا تستطيع •

ـــ أتمنعني ؟

ـــ اسمح لي أن أقول نعم •

ـــ أكتب الى ••

ـــ ولا هذا •• ما سر هذه العداء ؟

ـــ انها مطالبة بالحرية وليست عداء •

ـــ وواجبي ؟

ـــ واجبك أن تطيعنى •

ـــ بل واجبى أن أطيع الباشا •

ـــ الواقع أن واجبك هو أن تطيع ناظر الوقف •

ـــ أليس الباشا هو ناظر الوقف ؟

ـــ طبعا ، ولكن سيأتى يوم أصبح أنا فيه ناظر الوقف •

ولم يكن صالح يغبى هذا من أول الحديث ، ولكنه ظل يتمنى ألا يذكر نادر هذه الحقيقة فخابت أمانيه وذكرها نادر فى صراحة الحقيقة وبساطتها •

ـــ ولعله من الأوفق لك أن يكون ناظر الوقف راضيا عنك دائما ، سواء فى ذلك ناظر الوقف الحالى أو ناظر الوقف فى المستقبل •

لو كانت خديجة هنا لكان هناك حديث جديد بيننا • وأطرق ، ولم ينتظر نادرا أكثر من ذلك وغادر الحجرة •

ومنذ ذلك اليوم عاد نادر الى الحياة التى عرفها فى القاهرة على يد الهام • وان كان هنـــاك يخشى رقابة أبيــه أو أقوال الناس فانه هنا لا يخشى شيئا •• ولكنه بذكائه يعرف أن هناك مصدرا آخر يرسل المعلومات المدرسية الى أبيه غير صالح •• انها المدرسة نفسها وشهادته التى ترصد درجاته ، فاستطاع أن يرضى المدرسة وألا يهمل دروسه وأن يعربد ما شاء أن يعربد بعد ذلك • وأصبح صالح منذ ذلك اليوم مطيعا فى رضوخ •• لا يشترك معه ولكن يصمت ويتمنى أن يرى زوجته

ليضيف الى أحاديثه السابقة أحاديث جديدة عن اضطراره الى السير فى طريق ثم يتصور فى يوم من الأيام أنه سائر فيه .. ولكن ماذا تنفعه زوجته وماذا تجديه الأحاديث ؟ .. ان الصراع — ان كان ثمة صراع — باق بين نفسه ونفسه ، بين ما كان يتمنى أن يكون وبين ما صار اليه فعلا .

فى الاجازات الصيفية كان الباشا يأتى الى لندن وكانت تأتى معه نازك ونادرة وكان يتفضل فيصحب أسرة صالح . ولم تكن طبيعة الأمور تمكن نازك من الاتصال بصالح الا بصورة رسمية ، ولكن عين خديجة لاحظت شيئا .. شيئا واهنا لم يكن كافيا حتى لأن تفاتح صالح بشأنه ، ولكنها أحستة على كل حال وطوته فى نفسها .

ولم يشأ صالح فى هذه الاجازات أن ينغص على خديجة وجودها معه ، فهو يظهر أنه سعيد بمقامه لا يضيق بشىء الا ببعده عنهم . وفى هذه الاجازات كانت نازك لا تترك نادر لحظة الا حين تحس أنه يحب أن يسهر مع نعيم سهرة خاصة ، فهى تهيىء له هذه الفرصة وترجو أباه أن يتيح له التمتع بسهرة بعيدة عن أبيه وأمه .. قليلا ما كانت تتم هذه السهرات لأن الباشا لم يكن ليسمح لها أن تتكرر كثيرا .

وفى الاجازة الأخيرة لاحظ صالح للوهلة الأولى أن صحة الباشا ليست على ما يرام ، فانتهز فرصة ذهب الباشا الى



واستطاع أن يعربد ما شاء أن يعربد

حجرته ليستريح بعد الغداء وبقيت نازك مع صالح وخديجة فى بهو الفندق •

ـــ صحة الباشا •

ـــ كان متعبا هذا العام •

ـــ وماذا قال الأطباء ؟

ـــ ليسوا راضين عن صحته كل الرضا •

ـــ ولماذا لا يرى الأطباء هنا ؟

ـــ أظنه سيفعل •

وفعلا عرض الباشا نفسه على أطباء انجلترا وكان صالح معه دائما ، وأحس أن مرض الباشا لبس بالشىء الذى يستهان به • وانقضت الاجازة وعاد الباشا ونازك وأسرة صالح الى القاهرة واستمر صالح بلندن يمارس عمله الكريه • ولكنه فى هذه المرة أصبح توودده لنادر أكثر من ذى قبل فراح يعـــامله كسيد له أن يأمر وعلى من سواه أن يطيع • وأحس نادر هذه النغمة الجديدة وكان تفسيرها حاضرا فى ذهنه فهو فعلا السيد وصالح موظف عنده •• عنده أو عند أبيه الفرق لا يذكر •• كان نادر دائما يجد التفسير القريب لكل ما يصادفه فى حياته ••• فاقبال النساء عليه لأنه جميل وشاب ، أما أنه غنى فهذا ما لم يفكر فيه أبدا •. والتصاق نعيم به فى رأيه أمر طبيعى ، أما أن نعيم يحب نادرة ويفكر فى شأنها تفكيرا

خاصا فهذا ما لم يخطر له ببال • والحق ان هذا لا يمكن أن يخطر على بال أحد مهما يكن عميق النظرة بعيد الغور •

فان صالح مثلا وخديجة ونازك — وهى من هى — لم تلحظ أثناء زيارتها الى لندن أن ثمة لمحة يمكن أن تثير فى نفسها نوعا من الشك •• وكيف للشك أن يثور ونعيم مسيحى وأبوه يعمل موظفا بالدائرة ، ونادرة ابنة الباشا جميعا ؟

معذور اذن نادر حين لا تخطر له هذه الفكرة بشأن نعيم ونادرة ، ولكنه على كل حال من هذا النوع من الناس الذين يفسرون الأمور من أقرب وسائلها • ولعل الأمور كانت تتيح له هذه النظرة القريبة الميسورة • فهو جميل لا شك فى ذلك ••فارع الطول سمح القسمات لا تستطيع فتاة أن تراه وتعبره دون اهتمام ، وهو فى حديثه بسيط جـذاب ، وجسد حياته كالجدول الرقراق لا تعترضه صخور أو عقبات فهو فى نفسه صافى الخلجات ينطلق منه الحديث فى غير تكلف أو تصنع •• نوع من الحديث لا تجده الفتيات عند كثير من الشباب الذى عانى وسار على الشوك وشق طريقـه بين الصـخور مستخدما كل آلات النفاق والتكلف والمخادعة ، وهى أدوات لم يكن نادر يعرفها ، وانما عاش عمره يريد فينال ، ويقول فيسمع ؟ ويسير فالورود والزهور طريقه •• كل ما عليـه أن يقرأ وأن يستمتع • وقد كان يقرأ ويستمتع • وكان يعلم

أنه يقرأ ليكون مثقفا فهو فى غير حاجة الى شهادة لتكون سلاحا له فى الحياة ، فقد كان سلاحه الطبيعى أقوى من أى شهادة .. انه ناظر الوقف المنتظر .. أما أن يكون مثقفا فهذا شيء لا يجب أن يستغنى عنه لأنه استطاع أن يجلس بين المثقفين ، واستطاع أن يدرك فى بساطة أنه بغير ثقافة ولو بسيطة لن يستطيع أن يجلس مع أحد . وقد كانت الثقافة في رأيه أن يتقن اللغات فأتقن كثيرا منها . ولكن كما كانت حياة نادر ميسورة رقيقة كانت ثقافته أيضا ميسورة رقيقة ، فهو يتقن اللغات ولكنه لا يقرأ الا ما تريده المدرسة أن يقرأ ، فهو لم يكن هاويا للثقافة وانما كان ممارسا لها فلم يستطع أو هو لم يرد أن يتعمق موضوعا بذاته أبدا ، فان شاء أن يعرف معلومات عن أمر من الأمور كلف صالح فاذا كل ما يريده حاضر بين يديه ، وقد كان يجد من العبث بعد ذلك أن يبحث هو بنفسه . والقراءة فى ذاتها لم تكن متعة له فى يوم من الأيام . انه يعرف متعاته .. ويجيد معرفتها . ولم تكن القراءة من بينها ، وقد خيل اليه بعد ما أجاد من لغات أنه لم يعد فى حاجة الى مزيد من الثقافة ، وخيل اليه أيضا أنه يستطيع الآن أن يجلس مع من يشاء . وقد كان يعرف دائما أنه يستطيع أن يقول ما يشاء فالاستحسان ينتظر شفتيه أن تنفرجا .. أما ما قد يقوله السامعون اذا انصرفوا فلم يكن يعنيه فى شيء بل

هو فى الواقع كان يظن أن المدبح الذى كانوا يطلقونه على مشهد منه هو نفسه الذى يطلقونه بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين بعضهم البعض •

عاد نادر متأخرا الى البيت الذى يسكن فيه مع صالح فوجد صالح ينتظره واقفا فى البهو :

ـــ برقية أن تعود فورا الى مصر •

— ١٦ —

ــ ظلت تؤجل حتى مات •

ــ الظروف كانت صعبة •

ــ وأصبح نادر أنيوم ناظر الوقف •

ــ المصيبة أنه محبوب من جميع المستحقين •

ــ جميع النظار محبوبون فى أول الأمر •

ــ وهل ننتظر حتى يصبح مكروها ؟

ــ لا حيلة لنا الا أن ننتظر •

ــ قل لى يا يسرى أما زالت أحوالك المالية مرتبكة ؟

ــ ألا تعرف يا شوكت بك ؟

ــ لم تترك سميحة •

ــ سننا أصبحت لا تحتمل الترك •

ــ وأصبحت تحتمل القمار •

ــ نحن فى الهوى سوا •

ــ أنا لست قاضيا •

ــ القمار مرض لا يفرق بين قاض أو غير قاض كما لا يفرق بين كبير وصغير •

ــ نعم معك حق •

ــ أظنك تعرف ما أرمى اليه •

ــ حسام ابنى لا يفرغ من القمار الا ليبحث عن النساء •

ــ اذن فأنت تعرف •

ــ ومن أين تظنه يأتى بالمال ؟

ــ اذن فلابد من عمل شيء •

ــ الآن ؟ !

ــ فلننتظر قليلا •

ــ ننتظر نعـــم ، ولكن اياك أن تقطع صـــلتك بأولئك الخبراء •

ــ أتعتقد أننا سنحتاج اليهم ؟

ــ ان لم تكن لنا بهم حاجة للتنفيذ فلا شك أننا سنحتاج اليهم للتهديد •

ــ وهل سنحتاج الى التهديد ؟

ــ الأيام دائما حبالى •

ــ ونحن الذين نولدها •

ــ لابد ممن يساعد على الولادة •

ــ ان صلتى بمن تريد دائما قائمة •

ــ واترك للأيام أن تكمل مواقيت ولادتها •

ــ انى منتظر •

***

كان حزن نازك فى ظاهره شديدا فقد أرادت له أن يبدو شديدا . أما نادر ونادرة فقد كان حزنهما طبيعيا لا أثر فيه لافتعال .

وكانت كريمه تزور نازك فى كل يوم وكانت منيرة دائما معها .. ولم يمنع الحزن نادر أن يلقى نظرات الى منيرة ولكنها كانت مجرد نظرات .

وقام صالح بكل ما هو منتظر منه من واجبات ، وأصبح الرجل الأول فى الوقف بحكم قربه من ناظر الوقف الجديد .

ومرت الأيام لتكتمل شهورا وحزن نازك لا يريد أن يخف ، فهى دائما أمام ابنها وابنتها صامتة ساهمة . وهما بالطبع لا يريان أمهما حين تكون مع كريمة اذا خلت بهما الغرفة وابتعدت عنهما منيرة لتجلس الى نادرة ، وهما بالطبع لم يسمعا .

ـــ أريده جميعا فى يدى .

ـــ وهل هذا الحزن يمكنك مما تريدين .

ـــ ويمكنك أنت أيضا مما تريدين .

ـــ كيف ؟ لعلها المرة الأولى التى لا أفهم فيها ما تقصدين .

* ★ *

كانت نازك جالسة الى نادر ونادرة فى صالونها الخاص حين جاءت كريمة ومنيرة ، وراحت كريمة تقص عليهم أخبار الناس وتحاول أن ترمى النكات بين الحين والآخر ، فكان

نادر ونادرة ومنبرة يضحكون وتظل نازك معبسة الوجه بل قد تلقى اليهم نظرة استهجان لضحكهم .

وفجأة صمتت كريمة .

ـــ وآخرتها ؟

والتفتت اليها نازك وكأنها مندهشة مما تقول :

ـــ أليس لها آخر ؟

وهوم الصمت .

ـــ اسمع يا نادر باشا .

ـــ باشا ؟

ـــ ستصبح باشا فورا . ألست ناظر الوقف ؟

ـــ نعم .

ـــ ما رأيك تدعونا جميعا أن نسافر الى الخارج ؟

ـــ نسافر ؟

ـــ ان والدتك لن تستطيع أن تظل على هذا الحال ، ولابد لها أن تغير المكان والزمان وتسافر .

ـــ الى أين ؟

ـــ الى حيث تريد .

ـــ مثلا ؟

ـــ نلف فى أوروبا لفة .

ـــ والله لا مانع عندى اذا وافقت نينا .

ـــ وهل هذا يصح ؟

وتقول كريمة :

ــ بل لا يصح الا هذا ، نبعد عن الأحزان ونقضى فترة فى الخارج •

ــ وتترك الوقف يا نادر ؟

ــ اذا أردت يا نينا فاننى أستطيع أن أدبر الأمر •

ــ على كل حال تستطيع أن تترك صالح •

ــ اننى فعلا أستطيع أن أعتمد عليه •

ــ اذن نسافر •• حدد اليوم يا باشا •

وتقول نادرة كلمة عجيبة :

ــ ولكنك يا نادر ستزهق من رفقتنا •

ــ أنا •• لا •• أبدا •

ــ يحسن أن تصحب معك صديقا يسليك اذا أردنا نحن أن نخرج لشراء الأشياء فى أوروبا •

ــ وهو كذلك يا ستى •• نصحب نعيم •

***

ــ ستصبح ناظر الوقف •

ــ لفترة •

ــ لقد قصدتها خصيصا •

ــ أنت ؟

ـ طبعا .. أريد أن يعرف الجميع أنك الشخص الأول بعد الناظر .

ـ هذا ما أنتظره منك .

ـ أما ما أنتظره منك فهو أهم .

ـ خيرا ؟

ـ ليس هذا وقته .

ـ أنا تحت أمرك دائما .

ـ أرجو أن تظل كذلك .

ـ وهل أملك الا أن أكون كذلك ؟

ـ حين أعود .. وأنفذ ما أفكر فيه .

ـ فيم تفكرين ؟

ـ فى أشياء كثيرة .

ـ الآن فيم تفكرين ؟

ـ أفكر أن يكون نادر فى يدى .

ـ والوسيلة ؟

ـ هذا ما أصنعه الآن .

ـ ثم بعد هذا ؟

ـ سأخبرك .

ـ هل أنا ضمن هذه المشروعات ؟

ـ أنت من أهمها .

ـــ لا أدرى لماذا أحس بخوف •

ـــ وأنت بجانبى ؟

ـــ لا أدرى •

ـــ كن بجانبى ولن تشعر بالخوف •

ـــ أنا دائما هنا •

ـــ كن هنا دائما •

— ١٧ —

استطاعت نازك فى أوروبا أن تقرب منيرة الى نادر فهى تطلب منه دائما أن يرافقها ، وأدركت منيرة ما ترمى اليه نازك . ولم يحاول نادر كعادته أن يتعمق هذه المحاولة ، انه يظنها مجاملة طبيعية من أمه لابنة صديقتها ، وكلما ازداد التقارب بينهما ازداد اطمئنان نازك وكريمة .

ـــ فى هذه المرة أفهمك .

ـــ أنت صديقة العمر .

ـــ لكن ليس هذا وحده هو الدافع .

ـــ أنا أعرف أنك تفهمين .

ـــ اذا تزوج من لا أعرف ، خرج من يدى الى الأبد .

ـــ منيرة تربية يدك .

***

ان أمه وأمى تلقيان بى اليه وتلقيان به على ... لقد كنت أتمناه ولكن ليس على هذه الصورة .. لقد أصبح مفروضا على فرضا وأنا لا أحب أن يفرض أحد على حتى ولو كان نادر ..

بل لا أحب أن يفرض نادر بالذات •• كيف أستطيع أن أرفضه ؟
•• انه يتقدم الى بثقله جميعا •• الثراء الفاحش ونظارة الوقف والشباب والجمال •• ماذا أقول لأرفضه ؟ •• وأين الخيار لى ؟ •• ليس هذا اختيارا • انه زواج بالاكراه •• اكراه المال والمنصب والشباب والجمال •• كنت أريد هذا الحب الذى يتناغم بين قلبين لا يدرى شيئا الا الحب وحده •• كنت أريد هذه الأحلام العذبة من آمال الشباب الوردية •• كنت أريد حبا يسبق الزواج • ولكن من أين لى بهذا ؟ •• لقد أصبح مفروضا على فرضا • ولم لم تكن أمه وأمى لعلى كنت اخترته وحدى دون دفع منهما ، وهو مسوق لا يدرى الى أى شيء هو مسوق • وهو عذب صاف ، ولكن هذا النوع من الصفاء الذى لا يتمعن فى أمر ولا يتعمق فى شيء •• أنا أعلم أنه لا يدرى ان كان يحبنى أم لا •• لعله يخيل اليه انه يحبنى . ولكنه لا يدرى حقيقة مشاعره لأنه لا يدرى حقيقة شيء على الاطلاق • لم يقل أحبك فهو يفرض أننى أحبه كأمر لا جدال فيه ، فقد تعود أن يرى كل من حوله يحبونه ، ولم يحاول فى مرة أن يتعمق هذا الحب أو مقدار صدقه • وهو يعلم أن اشارة منه تكفى لأكون زوجة له وهو محق . فأمه وأمى فى انتظار هذه الاشارة وهو واثق أننى أيضا فى انتظار هذه الاشارة • ألست من الناس وكل الناس يحبونه ؟ فكيف لا أكون مثلهم ؟ سأتزوجه حين يطلبنى ولا

سبيل أمامي الا هذا . ولكن الذى لا شك فيه أن هذا الزواج مفروض على .. لعل كل من أعرف من البنات يتمنينه . ولكن أنا .. أنا بالذات كنت أرجو أن أتزوج بطريقة أخرى .

★★★

وفى غمار هذه المحاولة المتشبثة من نازك لتزوج نادرا من منيرة ، لم تلتفت عيناها الى حب آخر .

ـ وماذا بيدنا أن نصنع ؟

ـ أشهر اسلامى .

ـ أتظن أن الدين هو العقبة الوحيدة ؟

ـ هو العقبة الأساسية .

ـ يبدو أنك لا تقدر حقيقة الموقف .

ـ أبى موظف صغير عندكم ، ولكن ما لى أنا ؟

ـ الأمور ليست بالسهولة التى تتصورها .

ـ أنا سأترك دينى من أجلك ؛ فعليك أنت أن تضحى شيئا .

ـ ليس شيئا بسيطا هذا الذى تريدنى أن أفعله .

ـ وليس شيئا بسيطا الذى سأفعله أنا .

ـ انهم الآن مشغولون بنادر .

ـ أعلم .

ـ فانتظر حتى ينتهوا .

ــ انى منتظر ، ولكن أريد وعدا •

ــ سأحاول •

★ ★ ★

منيرة أن أصبح وان أمسى •• ولم لا •• لقـــد عرفت كثيرا من الفتيات ، ولكن حين أريد أن أتزوج لابد أن تكون زوجتى منيرة •• لقد سرت معها وحدنا كثيرا وأنا واثق أنها تحبنى ؛ ومع ذلك لم تحاول أن تظهر لى شيئا من حبها •• جميل حياء العذارى •• انها الفتاة الشريفـــة التى يطمئن الانسان حين يتزوجها •• ثم لابد لناظر الوقف أن يتزوج •• أليس كذلك ؟ •• لابد لناظر الوقف أن يتزوج •

★ ★ ★

كان حفل الزفاف رائعا ، واختلط فيه الرجال بالنساء وقدم فيه كل ما يخطر ببال الا الخمر ، فبيت ناظر الوقف لا يجوز أن يقدم فيه الخمر ، ونادر باشا يدور بالمدعوين يعرفهم بأقاربه وهم يبدون أعجابهم وتهنئاتهم وحين تقدم حسام شوكت من العروسين قال الباشا :

ــ وهذا حسام شوكت أعظم خلبوص فى العائلة •

ثم ضحك ضحكة رنانة عاليـــة صافية مجلجلة رنانة ، وابتسم حسام :

ــ أهكذا يا سعادة الباشا من أول مرة ؟

ـ انها ستعرف الحقيقة على أى حال مادامت أصبحت من الأسرة •

وضحك الضحكة نفسها مرة أخرى •

وفى طرف خفى من الحفل :

ـ هذا أحد مشاريعى يتحقق •

ـ أهناك مشاريع أخرى ؟

ـ مشروع خاص بى أنا •

ـ بك أنت ؟

ـ وبك أيضا •

ـ ماذا ؟

ـ ليس الآن على كل حال •

وكانت عينا خديجة قد رأتهما ، فحين انفردت بهما الحجرة فى المساء :

ـ ماذا كانت تقول نازك لك ؟

ـ سؤالك عجيب •

ـ نعم لعله عجيب فعلا •

ـ فلماذا تسأليه ؟

ـ ولماذا لا تجيب ؟

ـ أغريب أن تكلم أم ناظر الوقف موظفا عندها ؟

ـ أكان الكلام عن الوقف ؟

وصمت قليلا :

ــ لماذا لا تجيب ؟

ــ الواقع لم يكن عن الوقف .

ــ فالسؤال في محله اذن ؟

ــ ولكن كيف عرفت ؟

ــ احساس قديم .

ــ احساس ؟ !

ــ احساس لعله بلا مبرر ، ولكنه احساس على أى حال .

ــ هو احساس كاذب .

ــ لا يستبعد أن يكون كاذبا كما لا يستبعد أن يكون صادقا .

ــ هو كاذب .

ــ فماذا كانت تقول لك ؟

ــ تقول لقد حققت شيئا هاما بهذا الزواج .

ــ فأنت موضع سرها .

ــ ألا يرضيك أن أكون موضع سرها ؟

ــ موضع سر نازك ؟ .. لكم أخشاها .

ــ انني موظف عندهم .

ــ أهمّ موظف عندهم .

ــ ألا يسرك هذا ؟

ـــ على أن يظل الأمر كذلك •

ـــ ولماذا لا يظل ؟

ـــ أرجو ألا يزيد •

ـــ وكيف يمكن أن يزيد ؟ لقد كنت المتصرف فى الوقف أثناء غيابهم فى الخارج •

ـــ أرجو ألا يزيد •

— ١٨ —

ولدت منيرة لزوجها طفلة فرح بها نادر وكأنما حدث أمر لم يكن ينتظره • ولم يفكر أنه لم ينجب طفلا بدلا من طفلة ، ولم يفكر أن الوقف لابد له من فتى لتظل نظارة الوقف فى الأسرة ، وأصبح لا يعرف ماذا يفعل ليعبر عن هذه الفرحة ، فهو يقضى معظم أوقات يومه مع الوليدة نادية يداعبها ويضحك من كل ما تفعله •

أحضر المصورون فصوروها وصوروا أمها وصوروا الأسرة •• وفى مرة بينما وقف يرقب المصور وهو يلتقط لمنيرة ونادية أخذ بالمنظر وأحس تلك الخفقات من الفرح التى يحسها الشاب الصافى حين يجد زوجته جميلة وابنته جميلة ، وخيل لنادر أن هذه الصورة لوحة لابد أن يسجلها فنان لا عدسة ، وسرعان ما طلب من صالح أن يستدعى له أعظم رسام وجوه فى العالم • وكان صالح يستطيع دائما أن يعرف ما يريد معرفته ، وقد كان أعظم مصورى الوجوه شابا ايطاليا شهيرا سرعان ما أرسل صالح يستدعيه • وجاء الرسام

شاب وسيم عذب الحديث أنيق التصرفات فى غير تكلف ولا افتعال •

وقدم نادر زوجته وابنته الى الرسام فأبدى اعجابا شديدا بهما ، بل وأبدى سعادة أنه سيقوم برسمهما ؛ وبطبيعة نادر الصافية لم يتصور أن فيما قاله الرسام شيء من المجاملة •

ـ متى تبدأ عملك ؟

ـ مع هذا الجمال وهذا الطهر أتمنى أن أبدأ عملى فى هذه اللحظة •

وأطلق نادر ضحكته العظيمة :

ـ عظيم •• عظيم •• اذن تبدأ •

ـ الآن •

وصاحت منيرة :

ـ طبعا لا •

ونظر الرسام الى نادر :

ـ أرأيت ؟ كنت أعرف أنها ستمانع •

ـ كيف عرفت ؟

ـ اذا بدأت غدا أو بعد غد أكون سعيدا •

ـ لماذا كل هذه السرعة ؟

ـ ان السيدة تريد طبعا أن تختار الفستان الذى ترسم به ، وتختار أيضا ملابس للمدموازيل ••

وأطلق نادر ضحكته وقد أضيف اليها عنصر الفــرح أن يطلق على نادية لقب مدموازيل • وأكمل الرسام حديثه مع ابتسامة عذبة :

ــ نعم ملابس للمدموازيل تكون مناسبة لفستان السيده •

ــ اذن فلن نبدأ قبل أسبوع •

وضحكت نادية •

ــ أعدك أن تبدأ بعد أسبوع تماما •

ونظر أنطونياني الى الباشا :

ــ أرأيت ؟

ــ أنت خبير •

ــ انني أعرفهن •

ــ هل عندك مانع أن تزور القاهرة فى هذه الفترة وتتعرف عليها ؟

ــ انني أتمنى •

ــ أهى المرة الأولى التى تأتى فيها الى مصر ؟

ــ أرجو ألا تكون الأخيرة •

ــ اذن فأنا أدعوك لزيارة مصر جميعها فى هذا الأسبوع •

ــ هل يمكن ذلك ؟

ــ حتى لو استغرق هذا أكثر من أسبوع فلا يهم •

وتقول منيرة :

ــ وتكون فرصة لأحسن الاختيار والتفصيل •



مع هذا الجمال وهــذا الطهر ، أتمنى
أن أبــدأ عمــلى فى هــذه اللحظــة

وأراد نادر أن يندب صالح ليكون مرافقا لأنطونيانى ، ووافق صالح ولكن نازك عرفت :

ـ صالح أكبر من أن يرافق رساما ليمر به على آثار مصر .

وانتبه نادر ..

ـ آسف .. ظننتها فرصة أن يتنزه هو أيضا .

ـ هل بعد كشوفه فى الصحراء يصبح ترجمانا لرسام ايطالى ؟ ان أهم ما يجب أن تتعلمه هو أن تختار الشخص للمهمة .. هذه مهمة يستطيع أن يقوم بها أى موظف صغير فى الوقف ولا يجوز أن تصغر كبار رجالك حتى يظلوا كبارا .. فالكبير كبير بمن حوله .

ـ نينا أنا آسف ، وأنت لا تحتاجين الى كل هذا الحديث حتى أعدل عن رأيى .. يكفى أن أعرف رغبتك .

ـ ليست هـذه رغبة ، انهـا رأى انتهزت الفرصـة لأقوله لك .

ـ يبدو أننى صغير ما زلت محتاجا للتعليم .

ـ أيضايقك أن أقول رأيى ؟

ـ لا ، ولكن أرجو أن تذكرى أننى أصبحت ناظر الوقف ولست طفلا .

ـ هل فيما قلت ما يدل على أننى أعتبرك طفلا .

ـ لا .. فى هذه المرة أنت محقة .

ــ حين لا تجدني محقة ذكرني بأنك أصبحت الباشا ناظر الوقف .

ــ نبنا أنت زعلت ؟

ــ أنت زعلت ؟

ــ أبدا .

ــ وأنا .. أبدا .

ولم يذهب صالح لمرافقة أنطونياني ، ولكن رأيا آخر ظهر :

ــ نبنا .

ــ نعم يا نادرة ؟

ــ لماذا لا أذهب أنا مع أنطونياني ؟

ــ أنت ؟ هل جننت .

ــ أتفرج على آثار مصر .

ــ وحدك ؟

ــ ولماذا وحدى ؟ لتكن معى مدام أيزابيل مربيتى ، وليذهب نعيم معنا .

ــ اسألى أخاك .

ووافق نادر وأصدر أوامره باعداد الرحلة ، وطبعا صحب الرحلة موظف اختاره صالح .



ـــ صالح ، الآن أستطيع أن أنفذ مشروعنا ٠

ـــ أكاد أعرفه ٠

ـــ أتعرفه حقا ؟

ـــ أنت تعرفين أننى لست غبيا ٠

ـــ اذن فليسر الأمر ولو مرة واحدة طبيعيا بيننا ٠

ـــ ونادر ؟

ـــ دع الأمر يكون طبيعيا ولو لمرة واحدة بيننا ٠

ـــ نادر ؟

ـــ نناقش التفاصيل فيما بعد ٠

ـــ اذن يا نازك هانم أنا يشرفنى أن أتقدم لخطبتك ٠

ـــ آه هكذا ٠٠ هكذا يصبح الأمر طبيعيا ٠٠ فأنت لأول مرة تطلبنى ٠

ـــ وأطلبك الى الأبد ٠

ـــ أخيرا ٠

ـــ ما جوابك ؟

ـــ أحب أن يكون الأمر طبيعيا ٠

ـــ أليس طبيعيا الآن ؟

ـــ المفروض أن أقول دعنى أفكر ٠

ـــ أهذا هو المفروض ؟

ـــ دعنى أفكر ٠

* ★ *

— أولا تطلق خديجة ؟

— ماذا ؟

— أنا نازك هانم ، أتريدنى زوجة ثانية ؟

— ولكن .. الأولاد .

— هذا شأنك .

— ماذا أقول لهم ؟

— وهل أنت مضطر أن تقول ؟

— وهى ما ذنبها ؟

— أهى صحوة ضمير ؟

— مجرد تساؤل .

— عليك أنت أن تجيب هذا التساؤل .

— ونادر ؟

— هذا شأنى أنا .

— قد يطردنى .

— لا يستطيع .

— بل يستطيع .

— لا يستطيع .

— أنا أعرف تأثيرك عليه ، ولكن هناك أمور قد لا يتحملها أحد .

— اسمع ، انى دبرت الأمر .

— كيف ؟

ـ سيظل الزواج سرا •

ـ سرا ؟

ـ سرا •

ـ فما الداعى له اذن ؟

ـ سرا وليس سرا •

ـ لأول مرة لا أفهم •

ـ سيعرف جميع المحيطين بنا أننا تزوجنا ، ولكننا لن نعلن الخبر •

ـ الآن فهمت •

ـ سيصبح الخبر عند الناس اشاعة تحتمل الكذب والصدق . فان طردك نادر ستصبح الاشاعة صدقا فقط لا تحتمل الجانب الآخر •

ـ تهديد •

ـ لنادر •

ـ وماذا سيكون موقفه منى ؟

ـ موقفه من زوج أمه •

ـ أخشى أن يغضب منى •

ـ فى أول الأمر قد يغضب •

ـ ثم ؟

ـ ثم سيعرف أننى أنا التى أريد ، وأنا مستعدة لتـ--ـل كل ما يستطيع أن يصنعه •

ـــ انه يملك سلطات واسعة ٠

ـــ لقد عشت عمرى الماضى خائفة من زوجى ، ولن أعيش عمرى الباقى خائفة من ابنى ٠

ـــ انه ناظر الوقف ٠

ـــ وأنا أمه ٠

ـــ أعلم ٠

ـــ لن يستطيع أن يعلن الشقاق بيننا لو حدث شقاق ٠

ـــ اذن أمرك ٠

ـــ لا تنس أنك أنت الذى طلبت الزواج ٠

ـــ لا يمكن أن أنسى ٠

ـــ اذن فلنبدأ اجراآته ٠

ـــ أمرك ٠

ـــ كن زوجى ولا تكن موظفا عندى ٠

ـــ أمرك ٠

★ ★ ★

كانت خديجة تتوقع أى شىء الا أن يطلقها ٠٠ كانت تتوقع أن تقوم علاقة بن نازك وصالح ٠٠ ولعلها مع أسوأ الفروض كانت تتوقع أن يتزوج صالح من نازك ٠ ولكن طلاقها هو الأمر الوحيد الذى لم تتوقعه ٠٠ قرأت ورقة الطلاق وقرأتها وقرأتها ثم أصابها وجوم جازع منهار ، ثم وجدها من حولها

فى حالة هستيريا مجنونة متمردة فهى دائرة فى البيت تحطم كل ما تجده بلا تفكير ٠

حطمت وحطمت ٠ وابنها وابنتها ينظران اليها ذاهلين ٠ وحين قرأ أيمن الورقة الملقاة على الأرض أعطاها دون كلمة الى أخته عزه ٠ وفهم الأبناء ما تعانيه أمهما فأصبحا ينظران اليها فى اشفاق لا يدريان ماذا يفعلان او ماذا يقولان ٠ فقد شعر كلاهما شعورا واحدا أن أى عمل وأى حديث عبث ٠

ولكن خدم المنزل سارعوا يلتمسون العون ٠ فمنهم من طلب الأم الهام ومنهم من طلب الطبيب ، وخديجة فى ثورتها المجنونة العارمة لا تحس بأحد ولا بشىء ٠

وجاء الطبيب ولم يكن بيده الا ان يطلب اليهم أن يمسكوا بها عنوة ليعطيها ابرة مهدئة ٠٠ وأعطاها الابرة المهدئة ٠٠ وكانت ابرة مورفين ٠

← ● ● →

لأول مرة واجه نادر أمرا لا يريده وأحس بنفسه فى مصيدة لا يطيق منها فكاكا ، فقد دللته أمه بخطتها كاملة ٠٠ من حق المرأة أن تتزوج اذا كانت فى سنها حتى ولو كانت زوجة الباشا الناظر السابق للوقف ووالدة الباشا الناظر الحالى للوقف ، فهى تظل امرأة ٠٠ حقيقة لم يكن نادر يفكر فيها أبدا فلم يكن يتصور أن أمه امرأة ، انما كان يتصور أنها أمه فقط ٠

حاول أن يمانع ولكن كيف ؟ انه أمام أمه التى لم يرفض لها طلبا في حياته . وهو أيضا يدرك أنه لو مانع فلن تستمع له وستنفذ ما تريد أن تنفذ مهما يحاول أن يتأبى .. قد تخرج وتترك البيت فيسيح ما ينبغى له أن يستر . لأول مرة يريد شيئا ولا يستطيع بلوغه ؛ أو هو لأول مرة يريد شيئا ولا يستطيع منعه .

عرف الحقد والكره لأول مرة وكان عجيبا أن أول شعور بالحقد والكره يداخله ، يداخله تجاه أمه لا تجاه شخص آخر .

غضب على صالح ولكن كان يعرف أن أمه هى التى تريد ، ومع ذلك لم يستطع أن يمنع شعور الغضب .

تولته ثورة يريد أن يصنع شيئا .. يريد أن يخرج من المصيدة .. يصنع أى شىء .. لم يذهب الى منيرة فهى لا تستطيع أن تخرجه من المصيدة .. ترك أمه وخرج من الغرفة دون أن يجيبها بنعم أو بلا .. فقد كان يعرف أن كلتا الكلمتين لا داعى لهما فقد قررت .. انها تبدو أنها تستأذنه ولكنه وثق فى أثناء حديثها أنها انما تخبره .. فما لا ؟ وما نعم ؟ وماذا تجدى هذه أو تلك ؟ .. خرج من الغرفة وذهب الى سيارته وانطلق بها لا يدرى الى أين ، وانما انطلق فى سرعة مجنونة عاتية يلتهم الطريق كأنما يحس أنه اذا قطعه فسيخرج من المصيدة ، وأسرع وأسرع لا يدرى لنفسه متجها ،

وترك القاهرة وراح يسوط الطريق بعجلاته كأنما ينتقم من الطريق الذى لا يستطيع أن يخرجه من المصيدة ، غير عابىء بالسيارات الأخرى أو الناس أو الحيوانات .. عليها هى أن تتفاداه أما هو فيريد أن ينطلق فى هذه السرعة الغاضبة المجنونة وليكن بعد ذلك ما يكون .. تفكيره حريق ونفسه اشتعال وغضبه الذى يعرفه لأول مرة دمار .

ووجد نفسه أخيرا أمام قصره بالاسكندرية ، فنزل ودلف الى البيت لم يوجه الى الخدم حديثا ، وانما انهار على أول كرسى استقبله وأطلق آهة عميقة ، ثم أسلم نفسه الى الصمت .. نعم اننى لم أزل فى المصيدة .

— ١٩ —

حين عادت نادرة من رحلتها كانت قد أعدت كل شيء ، وحين وجدت زواج أمها في انتظارها أصبح الأمر أكثر يسرا :

ـــ سوف يشهر اسلامه .

ـــ أتعقلين ما تقولين ؟

ـــ اذا كنت أنت تتزوجين ممن تريدين ، فلماذا لا يكون لي هذا الحق ؟

ـــ ألم تفكري في أخيك ومنصبه ؟

ـــ أراك أيضا لم تفكري في ابنك ومنصبه .

★ ★ ★

ـــ لا أريد أن أرى وجهها ولا وجه نعيم .

ـــ هذا لا يغير شيئا من المشكلة .

ـــ لا أريد أن أرى أحدا منهما .

ـــ لا بد أن يعلن الخبر .

ـــ لا أراهما .

ـــ الأمر معهما مختلف ، فأنا لم أعلن عن زواجي .

ـــ أنت أمها افعلي ما تشائين .

ـــ وأنت أخوها .

ـــ لا أريد أن أكون أخا أحد .

وصمت قليلا ثم قال :

ـــ ولا ابن أحد .

ـــ لا تغلط .

ـــ العجيب أننى لم أجن حتى الآن .

ـــ لابد للحياة أن تسير فى طريقها .

ـــ أهذا هو الطريق الطبيعى للحاة ؟

ـــ هذه هى الحياة .

ـــ قبيحة ذميمة ..

ـــ اننى أنا المخطئة .

ـــ أنت طبعا المخطئة .

ـــ أنا المخطئة لأننى لم أجعلك ترى من الحياة الا وجهها الجميل .

ـــ وهأنذا أرى وجهها الفظيع .

ـــ أنت لم تر شيئا .

ـــ أهناك أفظع من هذا ؟

ـــ أنت لم تر شيئا .

⟵ ● ● ⟶



اذا كنت أنت تتزوجــين ممن تريدين ،
فلمــاذا لا يــكون لى هــذا الحــق ؟
(أمواج ولا شاطئ)

أصبح نادر خجلا من أمه ومن أخته ، فزواج أمه تساع بين الناس وان لم يعلن عنه . وزواج أخته أذيع فى جميع الجرائد والمجلات . ونادر لا يريد أن يرى أحدا ، ولولا أنه مضطر أن يوجد فى مكتبه بالوقف منذ الصباح ما نزل الى الوقف أيضا . كان يحس أن الناس لا تتحدث الا عن أمه

صالح يخشى الدخول اليه فى مكتبه ، ولكن العمل كان يقتضى ان يلقاه .. لم يقل له شيئا .. كأن شيئا لم يحدث . استكبر نادر أن يكلمه فى هذا الأمر ولكنه فى نفس الوقت لم يستطع أن يعامله كما كان يفعل .. هى الأعمـال فقط ولا حديث آخر .

وفى يوم بينما صالح واقف امامه يعـرض عليه بعض أوراق ، وجد نفسه لا يحتمل . قام فجأة ودخل الى جناحه فى السراى وظل يسير فى الأروقة على غير هدى . ومر بالغرفة التى يقوم فيها أنطونيانى برسم زوجته ، ووجد قدميه تقودانه الى داخل الغرفة ... ما هذا ؟ .. أهذا هو الجانب الآخر من الحياة ؟ .. أحقيقة ما يرى ؟ .. زوجته بين أحضان أنطونيانى . والطفلة تنظر اليهما ، يقبلها وهى تحمل طفلتها .

رأته منيرة .. شهقت .. ولكنه كان قد عاد تاركا الغرفة . لم يبق له أحد .. لا أحد .. لا أحد ..

نزل الى السيارة عقله لا يفكر ، لا يفكر مطلقا . هو فى روع آخذ جبار عنيف . انطلق بالسيارة . وانطلق وانطلق

وطال الطريق وهو لا يدرى .. فى أوربا كنا نسير سويا ..
نادية .. أنا أول من عرفت .. هذا لا شك فيه .. كل شيء
مشكوك فيه .. لماذا ؟ أمى .. نادره .. ومنيرة .. لماذا ؟ ..
وكيف ؟ .. ولماذا ؟ .. ومع من ؟ .. انه لن يبقى .. اذن فهى
تعطى نفسها لمن يرغب . عبث .. عبث .. عبث .. السمعة
.. الناس .. لا يهم . المهم هو أنا .. أنا . وهل بقى لى
أنا ؟ .. وما أنا ؟ أليس زوجتى وبنتى وأمى وأختى ؟ ..
ماذا بقى من أنا ؟ .. نادية .. منيرة .. هل رأيت ما رأيت
حقا ؟ .. أعود لأتأكد ؟ . لعله ما يزال يقبلها .. أعود لأرى ؟
.. زوجتى منيرة .. ماذا بقى لى من أنا ؟ لا يحس بالطريق
ولا يحس بشيء .. وفجأة نبتت أمامه فتاة صغيرة لوى
السيارة ليتفاداها فاذا بالسيارة تنقلب مرات حتى تستقر
مقلوبة فى الحقول ، ثم يهوم الصمت .

* ★ *

فى المستشفى بدأ يفكر .. لو قال ما رأى لجنى على
نادية جناية لا تستحقها . لو صمت . سيجن . ماذا يفعل ؟
ماذا يفعل ؟

تدخل منيرة وتخرج لا يستطيع أن يحادثها اذا انفرد ،
فان دخلت أمه حادث منيرة بما لا يجعل الأم تشك فى شيء .
فاذا خرجت الأم صمت .

ـــ كان يقبل نادية .

لم يجب . لا يستطيع أن يصدقها ويكذب عينيه .
لا حديث . لا حديث على الاطلاق .

حاولت نادرة أن تنتهز الفرصة لتعود الأمور الى طبيعتها بينها وبين أخيها فدخلت تزوره .. لم يحدثها ولم ير داعيا أن يحدث منيرة أمامها .. ما فعلته نادرة أهون مما فعلته منيرة .. ولكنه لم يستطع أن يحتمل وجودهما معا أمامه .. قال فى حزم :

ـ اخرجا .

وخرجتا كل منهمـــا تعـــلم أن أمر الطرد صـــادر لها وحدها .

* ★ *

شفي وخرج من المستشفى ولكنه انقلب شخصا آخر . أصبح لا يترك بيت الهام وأصبح يطالبها باقامة الحفلات . كان يريد أن يعود الى هذه الأيام التى أعطته فيها الهام سيارة وفتاة .. فهو يلاحق كل من تقع عليها عيناه من فتيات . وأصبح لا يستخفى فى علاقاته حتى لقد سرت الاشاعات أنه فقد قدرته الجنسية أو كاد ، ويريد أن يستر هذا بما يفعل مع النساء . وهو لا يعنى بشىء من هذا وانما يسير طريقه الذى خطه لنفسه غير مكترث بأحد أو بشىء . والهام تهيىء له كل ما تصبو اليه نفسه . أصبح لا يصادق الا الخدم والقوادين ، وتردى فى طريق لم يتصور أنه سيسير فيه .. أصبح يضحك ضحكته الشهيرة ، ولكنه كان كلما ضحكها أحس أنه يضحك من نفسه وأحس أن العالم أجمعه يضحكها منه معه .. الى أين الطريق ؟ .. الى أين تنتهى به نزواته ؟ .. لا يدرى أو لعله يدرى ولكنه لا يريد أن يفكر .. أصبح ابن لحظته يطالبها أن تعطيه كل متع العالم ولا يهمه من بعد ماذا ستحمل اللحظة التالية . كل ما يريد أن ينسى كل شىء عن كل شىء ، ويسمع مديح الخدم والقوادين ، ويصدقه .. انه يريد أن يصدقه فهو أبداً لا يحاول أن يبحث وراء الكلام

الذى يصدر اليه من أى منبع ولا عن أى مصدر يصدر ..
له لحظته لا يعنيه ما بعدها ، وله الكلمة ولا يعنيه ما وراءها ،
وحين يحاول بعض المخلصين من المستحقين أن يقولوا شيئا
يهددهم أو يعرض عنهم . فكل حديث لا يمتعه لا يريده ،
لا يسمعه مهما يلح عليه . والمخلصون قلة والمنتفعون كثرة .
والمديح جميل والنصيحة بغيضة . وهو يريد اللحظة ، يريدها
متعة . والكلمة المادحة تزيد المتعة متعة .. فليخض الأمواج
.. والشاطىء .. الى أين ترسو السفينة ؟ لا يهم .. انه
يغوص فى الأمواج ولا شأن له بالشاطىء .. لعل بحره يكون
بلا شاطىء .. لكل بحر شاطىء .. ولكن لعل .. لعل ..
لعل بحره هو بلا شاطىء .. وجد متعته الكبرى فى القمار ..
أصبح يقامر بكل مال يقع فى يده . وأوشك الوقف فى مرتين
أن يصبح مرهونا جميعا لولا أن توسل المستحقون لدى
الديانة فتنازلوا عن حقوقهم .. أصبح الوقف جميعا مهددا
بالخراب فلم يعد يعنيه أن يبقى أو لا يبقى ، وأصبح
المستحقون فى ذعر دائم أن يصبح عليهم صباح ليجدوا الوقف
جميعا أصبح فى أيدى الناس بددا : ويصبح ريعه سدادا
لديون : وحينئذ لن تجدى الوقفية فى شىء .. انه يقامر
بجنون .. كان القمار يمده بلحظات المتعة ويجعله يغوص
أكثر فى أعماق الموج ويجعله ينسى أكثر وأكثر . ان للأمواج
شاطئا ، فان فكر لحظة ، مجرد لحظة .. لعل .. لعل موجى

يكون بلا شاطىء •• اضطرب المستحقون وأصبحوا لا يدرون بماذا يطالعهم الغد أو بماذا يوافيهم المساء ، وأصبح أكثر الجميع هلعا موظفو الوقف ، فكل من لا يمدحه يغيره ، فطرد الموظفين واستبدالهم بآخرين أصبح لعبة يلهو بها كما يلهو بأوراق اللعب •

★ ★ ★

وتمر الأعوام وقليلا ما تمر ، ويتفاجأ بأن منيرة حامل ، ولا يقطع هذا الخبر الاشاعة • عان الضعف لا يمنع القدرة منعا تاما • وتكتمل شهور الحمل وتلد منيرة فتاة أخرى هى نعمت •

ولا تكمل نعمت فى بيت أمها شهورا حتى يعلن نادر طلاق منيرة ، ويجعل ذريعته أنه يريد أن ينجب أبناء ليرثوا نظارة الوقف •

ومن بيت الهام يختار عروسه فتاة لم يكن يعرفها ، وانما قدمتها اليه الهام على أنها سميرة ابنة مجدى بك السنهوتى •

— ولكنها مخطوبة •

— لم تتزوج بعد • أليس كذلك ؟

— مخطوبة •

— اسألوها واسألوا أباها •

— أمرك •

وتفسخ خطبة الفتاة ويتزوجها نادر ، ولكن ••

— ٢٠ —

ـ شوكت قد حان الوقت .

ـ نعم يا يسرى قد حان الوقت .

★ ★ ★

وكان نادر بمكتبه بادارة الوقف حين دخل اليه يسرى وشوكت وبعض أشخاص آخرين .

ـ يا باشا ان الحال هكذا لا يمكن أن يستمر .

ـ ما هو الذى لا يمكن أن يستمر ؟

ـ سمعة الوقف أصبحت فى الحضيض .

ـ أنا ناظر الوقف المسئول عنه .

ـ لهذا جئنا اليك .

ـ ماذا تريدون ؟

ـ أن تتنازل .

ـ ماذا ؟

وظهرت أسلحة مشهرة من مرافقى يسرى وشوكت .

ــ أهى فوضى ؟

ــ سوف يشهد جميع الموظفين أنك حاولت قتلنا فدافعنا عن أنفسنا .

وكان يسرى قد أعد ورقة التنازل فوقعها نادر ، وكأنما كان ينتظر هذا اليوم كشىء مؤكد لا سبيل الى الفرار منه .

* * *

سافر هو وزوجته الى أوروبا ، ولكن زوجته لم تطــق العيش معه طويلا فقد أصبح لا يجد لذة الا مع العاهرات .

ــ مضمونات .

ــ العاهرات ؟

ــ نعم اننا نعرف أنهن عاهرات .. انهن النوع الوحيد الذى لا يغش من النساء .. فاننا نعرف أنهن عاهرات .

ولم يقنع هذا المنطق سميرة فهى تتركه للعاهرات وتعود الى القاهرة .

* * *

فاجأه الموت وهو فى سن الشباب ، ولم يعرف أحد كيف مات فقد كثرت حول موته الأقاويل والاشاعات .

وجدوا خطابا بين أوراقه : « الى ابنــتى نادية راجيا الا تفتحه الا بعد وفاتى » .

وفتحت نادية الخطاب :

« أنت الوحيدة التى لا احب أن تصدق ما يقوله الناس
نى ، ولعل أهم ما يمسك فى أمر أسرتنا أننى طلقت والدتك .
بل ما أرجو أن تعرفيه أن أختك نعمت ليست ابنتى .

وكنت قد سمعت عن علاقة بين منيرة وحسام ولم أشأ
أن أطلقها حتى لا أسىء اليك ، فحين جاءت نعمت أشفقت
عليك وأشفقت عليها هى أيضا ، فهى لا ذنب لها ، ولكننى لم
أطق أن أعيش معها فكان الطلاق . وهذا السر بين يديك
الآن ، وأنت وحدك التى تملكين التصرف فيه . وان كان لى
رجاء عندك يجاب ، هو أن تشفقى عليها فهى وان لم تكن
ابنتى فانها أختك .

أبوك
« نادر »



... وهـذا السر بـين يـديك الآن ،

وأنت وحدك التي تملكين التصرف فيه

من مطبوعات مكتبة مصر

للمـــؤلف

- ثم تشرق الشمس .
- هارب من الأيام .
- لقـــاء هنـــاك .
- أمواج ولا شاطىء .

مؤلفـــات

عبد الحميد جوده السحار

الطبعة الأولى

احمس بطل الاستقلال	قصة	مايو سنة ١٩٤٣
أبو ذر الغفارى		يوليو سنة ١٩٤٣
بلال مؤذن الرسول		مايو سنة ١٩٤٤
فى الوظيفة	مجموعة اقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٤٤
سعد بن أبى وقاص		يوليو سنة ١٩٤٥
همزات الشياطين	مجموعة اقاصيص	فبراير سنة ١٩٤٦
ابناء أبى بكر الصديق		اكتوبر سنة ١٩٤٦
الرسول (حياة محمد) ترجمه مع محمد محمد فرج		يناير سنة ١٩٤٧
فى قافلة الزمان	رواية	سنة ١٩٤٧
أهل بيت النبى		مايو سنة ١٩٤٨
أميرة قرطبة	قصة	سنة ١٩٤٩
النقاب الأزرق	قصة	مايو سنة ١٩٥٠
المسيح عيسى بن مريم		سنة ١٩٥١
محمد رسول الله (مترجمة)		١٩٥١
قصص من الكتب المقدسة		سنة ١٩٥٢
الشارع الجديد	رواية	سنة ١٩٥٢
صدى السنين	مجموعة اقاصيص	سنة ١٩٥٣
حياة الحسين		سنة ١٩٥٤
قلعة الأبطال	قصة	سنة ١٩٥٤
المستنقع	قصة	ديسمبر سنة ١٩٥٧
أم العروسة		يناير سنة ١٩٥٨
وكان مساء	قصة	مارس سنة ١٩٥٨
الدرع وسيفان	قصة	يوليو سنة ١٩٥٨
المصاد	رواية	سبتمبر سنة ١٩٥٩

الطبعة الأولى

القصة من خلال تجاربي الذاتية		سنة ١٩٦١م
جسر الشيطان	قصة	أكتوبر سنة ١٩٦٢م
ليلة عاصفة	مجموعة أقاصيص	ديسمبر سنة ١٩٦٣م
النصف الآخر	قصة	يناير سنة ١٩٦٤م
السهول البيض	رواية	يونيو سنة ١٩٦٥م
وعد الله وإسرائيل		يوليو سنة ١٩٦٧م
عمر بن عبد العزيز	قصة	يناير سنة ١٩٧٢م
الحفيد	قصة	أكتوبر سنة ١٩٧٢م
هذه حياتي	(قصة حياة المؤلفة)	فبراير سنة ١٩٧٤م
ذكريات سينمائية		أبريل سنة ١٩٧٤م
ملك الموسيقى		١٩٨٣م
خفقات قلب		١٩٨٣م
صور وذكريات		١٩٨٣م
الإسراء والمعراج		١٩٨٣م
عدو البشر (سيناريو وحوار)		أبريل سنة ١٩٨٤م
النمـــــر (سيناريو وحوار)		أبريل سنة ١٩٨٤م
الله أكبر (سيناريو وحوار)		أبريل سنة ١٩٨٤م
أبطال الجزيرة الخضراء		١٩٨٥م
ثلاثة رجال في حياتها		١٩٨٥م
مسجد الرسول		١٩٨٥م
فات الميعاد (سيناريو وحوار)		أبريل سنة ١٩٨٦م
آدم إلى الأبد (سيناريو وحوار)		أبريل سنة ١٩٨٦م

القصص الديني

(الأطفـــــال)

قصص الأنبياء	في ٢٨ جزءا
قصص السيرة	في ٣٠ جزءا
قصص الخلفاء الراشدين	في ٢٠ جزءا
العرب في أوروبا	في ٢٤ جزءا

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ

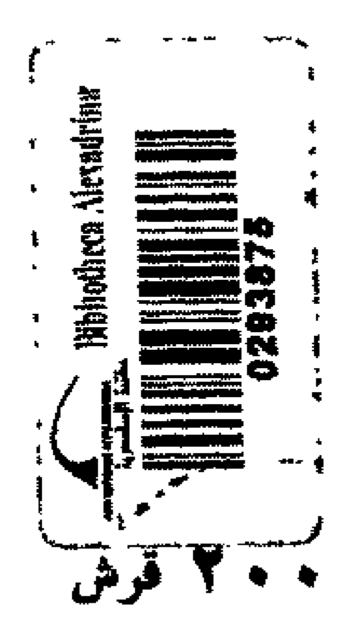
وَالَّذِينَ مَعَهُ

١ — ابراهيم ابو الانبياء	اكتوبر ١٩٦٥
٢ — هاجر المصرية أم العرب	مارس ١٩٦٦
٣ — بنو اسماعيل	سبتمبر ١٩٦٦
٤ — العدنانيون	فبراير ١٩٦٧
٥ — قريش	مايو ١٩٦٧
٦ — مولد الرسول	يولية ١٩٦٧
٧ — اليتيم	اكتوبر ١٩٦٧
٨ — خديجة بنت خويلد	يناير ١٩٦٨
٩ — دعوة ابراهيم	مارس ١٩٦٨
١٠ — عام الحزن	مارس ١٩٦٨
١١ — الهجرة	سبتمبر ١٩٦٨
١٢ — غزوة بدر	نوفمبر ١٩٦٨
١٣ — غزوة أحد	يناير ١٩٦٩
١٤ — غزوة الخندق	مايو ١٩٦٩
١٥ — صلح الحديبية	يونية ١٩٦٩
١٦ — فتح مكة	نوفمبر ١٩٦٩
١٧ — غزوة تبوك	نوفمبر ١٩٧٠
١٨ — عام الوفود	مايو ١٩٧٠
١٩ — حجة الوداع	نوفمبر ١٩٧٠
٢٠ — وفاة الرسول	ديسمبر ١٩٧٠

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه
٣٧ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت ٩٠٥١٢٧ - ٩٠٢٥٩٢

رقم الايداع ٢٥٩٧
الترقيم الدولى ١ — ٣٥٧ — ٣١٦ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٢٠٠ قرش